وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
ⴰⵢⵎⵙⵙⵉⵡⵉⵏ ⵏ ⵜⵣⵔⴼⵜ ⴷ ⵜⵙⵙⵏⵉⵜ ⵜⵉⵏⵙⵙⵏⵜⵉⵏⵜ
ⵜⴰⵡⴰⵍⵜ ⵏⵜⵣⵔⴼⵜ ⵏⵜⵎⵙⵙⵓⵔⵉ ⵜⵉⵣⵉ ⵡⵣⵓ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵜ ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⵉⵡⵉⵏ ⴷ ⵜⵓⵔⵉⵔⵜ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ

جامعة مولود معمري - تيزي وزو
كلية الآداب واللغات
رقم الترتيب:.....
الرقم التسلسلي:.....

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
DEPARTEMENT LANGUE ET LITTERATURE ARABE

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الميدان –اللغة والأدب العربي
الفرع: دراسات أدبية
التخصص: أدب حديث ومعاصر

العنـــــــــوان

جماليات المكان في رواية

"بوح الرجل القادم من الظلام" لـ "إبراهيم سعدي"

إعداد الطالبتين:
- **حبيبة بلعباس**
- **زيرة بلحيطش**

الإشراف الأستاذة:
- **نبيلة زويش**

لجنة المناقشة:

أ. نورة بعيو	أ. ت. العالي	جامعة مولود معمري تيزي وزو...رئيسة
أ. نبيلة زويش	أ.م. (أ)	جامعة مولود معمري تيزي وزو.... مشرفة ومقررة
أ. جمال بن عمار	أ.م. (أ)	جامعة مولود معمري تيزي وزو.... ممتحنا

السنة الجامعية 2019/2018

كلمة الشكر

إلى كل من أعاد رسم ملامح الطريق الصحيح وتصحيح عثرات، أتقدم بتحية شكر وعرفان.

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة "تبيلة زويش"، التي وقفت معنا وساندتنا منذ بداية البحث إلى نهايته، سواء بالمراجع أو التصحيح.

✍حبيبة، زيرة.

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من كان رضا الخالق من رضاهم

إلى أمي الحنونة أطال الله في عمرها

إلى أبي حفظه الله و أطال عمره

إلى من كان سندا لي في هذه الحياة أفراد أسرتي

إلى كل من أعانني على إنجاز هذا البحث.

زيـــرة

إهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد أتقدم بهذا العمل إلى :

إلى من وضعت تحت قدميها الجنان فكانت سر السعادة ونبع الحنان ومنبع الأمان: إليك أمي الغالية حفظها الله وأطال عمرها.

إلى الذي كان في دربي المعين بدعواته، ولم يبخل بشيء من أجل دفعي إلى طريق النجاح إلى الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر: إلى أبي الغالي أطال الله في عمره.

إلى أخواتي: غانية، فتيحة، صبرينة، كهينة، لامية.

إلى أخي الوحيد: مناد، وزوجته كهينة، وكتكوته أيلان.

إلى كل العائلة صغيرهم وكبيرهم.

إلى كل الصديقات والأصدقاء

إلى كل من حملته ذاكرتي ولم تحمله مذكرتي.

حبيبة. ✍

خطة البحث

كلمة الشكر

إهداء

مقدمة

مدخـــل: مفاهيـــم المكـــان

1-مفهوم المكان

1-1- مفهوم المكان عند النقاد الغربيين

1-2- مفهوم المكان عند النقاد العرب

الفصل الأول: تجليات المكان ما قبل الإرهاب.

1- ذكريات أماكن الطفولة.

2- ذكريات أماكن المراهقة.

3- وصف أماكن الهجرة.

4- مسارات أماكن العودة إلى الوطن

الفصل الثاني:تحولات المكان ما بعد الإرهاب في المدينة.

1- الأماكن المغلقة.

1-1- الفندق

1-2- البيت

1-3- المستشفى

1-4- المكتب

1-5- المقهى

1-6-المسجد

1-7-مركز الشرطة

2- الأماكن المفتوحة

2-1- المدينة

2-2- الشوارع والطرقات

2-3- السوق

خاتمـــة.

مقدمة

مقدمة:

يعد المكان بؤرة فنية تدور فيه الأحداث، فلا يمكن الإستغناء عنه، وعندما يتم تبئيره من قبل السارد يتحول إلى علامة تحمل دلالات كثيرة، لأنه يهيمن على مسار الحكاية التي تحيل أحداثها عليه فيرتبط بكل التحولات السردية، ولهذا اهتم الكثير من النقاد بدراسته نظرا لعلاقته بالشخصيات والزمان الذي تدور فيه الأحداث.

تشكلت إشكالية البحث من مجموعة الأسئلة التي ارتبطت مباشرة بعنصر المكان يمكن أن نجملها على النحو الأتي:

- ✓ ما هي الأماكن التي دارت فيها أحداث الرواية؟
- ✓ و كيف ساهم المكان في تصعيد أحداثها؟
- ✓ ما الفرق بين الأماكن التي دارت فيه الأحداث قبل الإرهاب و بعد الإرهاب؟

يرجع سبب اختيارنا للرواية لأنها من الأجناس الأدبية التي يكثر فيه الكتاب على هذا العنصر فلا يمكن تصور عمل روائي بدون مكان، وبعد قراءتنا لرواية "بوح الرجل القادم من الظلام"، تدير اشتغال الكاتب على المكان الذي دارت فيه الأحداث ولعل كثافة حضوره على مستوى النص هو الذي دفعنا لاختياره موضوع للدراسة.

أما المنهج المتبع في دراستنا في هذا البحث هو المنهج الموضوعاتي، أما سبب اعتمادنا لهذا المنهج هو أن الرواية تتطلب التحليل والأماكن تحتاج إلى الوصف.

اعتمادنا في هذا البحث على رواية "إبراهيم سعدي" كمصدر أساسي في هذا البحث، وكما اعتمادنا على مجموعة من المراجع منها "جماليات المكان" "غاستون باشلار"، "جماليات المكان في الرواية العربية" "لشاكر النابلسي"، "بنية النص السردي" "حميد الحميداني"، الزمان و المكان في الشعر الجاهلي" " باديس فوغالي" وغيرها من المراجع.

قد قسمنا بحثنا إلى مدخل وفصلين تطبيقيين وخاتمة، حيث تناولنا في المدخل مفهوما المكان.

تعرضنا في الفصل الأول الذي عنوناه بـ تجليات المكان ما قبل الإرهاب تناولنا فيه ذكريات أماكن الطفولة والمراهقة ووصف أماكن الهجرة ومسارات أماكن العودة إلى الوطن من خلال تعريفها ووصفها من خلال الأحداث المتغيرة كما وردت في الرواية.

أما الفصل الثاني المسمى "تحولات المكان ما بعد الإرهاب في المدينة" فتتبعناه من خلال مسارالحكاية وعرضنا فيه الأماكن المغلقة والمفتوحة.

أما بالنسبة للخاتمة فقد لخصنا فيها أهم النتائج والتي ارتبطت بدور المكان كعنصر رئيسي في رواية "بوح الرجل القادم من الظلام"، وقد واجهتني بعض الصعوبات والعراقيل.

- صعوبة التوافق بين الدراسة ومتطلبات البحث العلمي وصعوبة جمع المادة وضيق الوقت.

في الأخير لا يفوتنا إلاّ إنّ نتقدّم بجزيل الشّكر والعرفان بالجميل لأستاذاتنا المشرفة" نبيلة زويش"، الّتي وأفادتنا بنصائحها بمعلومتها القيمة، فألف شّكر لأستاذتنا على كلّ ما قدّمته لنا وأطال الله في عمرها، وجعلها دوما في خدمة العلم والمعرفة.

مدخل

مفاهيم المكان

مفهوم المكان:

يعد المكان عنصرا حيويا في كل بناء روائي،فلا يمكن تصور أي عمل روائي خارج سياق المكان، إذ يعتبر العمود الفقري الذي يربط كل جزء من أجزاء المسار السردي من شخصيات وأحداث وسرد، فلا يمكن الاستغناء عن المكان لأن أحداث الرواية لا بد أن تدور فيه .

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة إذ "يعد أهم وأحد الركائز الأساسية لها،لا لأنه المكان الذي تدور فيه الأحدث وتتحرك من خلاله الشخصيات، بل لأنه يتحول في بعض لأعمال إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية بما فيها النص ولغته وما بينها من علاقات ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه، وجهات النظر، فيكون الفضاء هو نفسه المساعد في تطوير بناء الرواية والحاصل لرؤية البطل والممثل لمنظور المؤلف.

اهتم الكتاب بالمكان في العمل الفني حيث كانت أعمالهم تعالج قضايا أحداثها ذات علاقة مكانية بمسار الحكاية، إذ يمكننا القول:" إن العمل الأدبي يفقد خصوصية وأصالته، إذ فقد المكانية."[1]"المكان في الرواية يجب أن يكون عاملا و فاعلا فيها سواء كان هذا المكان باهتا أم كان واضحا أم عاصفا في حركة أم ساكنا في نقله، متدفقا في سيولته أو كثيفا، وضاغطا"[2]

إن للمكان الفني حدوده الهندسية أو مساحته المحددة بناء على الأشياء المتجانسة التي تقوم عليها، لأنّه يعد بمثابة حقيقة معيشة تؤثر في البشر، بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي ويحمل في طياته فيما ينتج من التنظيم المعماري، كما ينتج من التوظيف الاجتماعي، " لكل مكان سلوكا خاصا على الناس الذي يلجئون إليه والطريقة التي يدرك بها المكان، تطغى عليه الدلالات خاصة ويحمل مجموع سلوكنا قيمة

[1]/ غاستون باشلار:جماليات المكان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات النشر و التوزيع، ترجمة: غالب هلسا، ط6 ، بيروت، ص06.

[2]/ منصور نعمان الدين الدليمي: المكانفي النص المسرحي، الأردن،اربد دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1،1999، ص15.

معينة من وظيفة الأماكن التي يمارس فيها هذا السلوك، فالأماكن الدينية تعرض علينا ارتداء الملابس محتشمة والكلام بصوت خفيض."[1]

للمكان" حضور في كل عناصر العمل الروائي فهو ليس عنصرا زائد في الرواية فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله."[2]

إن أهمية المكان كمكون للفضاء الروائي، وذلك أن كثرة الأماكن واختلافها من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكيلاتها أيضا إلى مقياس أخر مرتبط بالأتساع أو الانفتاح أو الانغلاق.

لعل تفسير هذا مرده إلى أن الأمكنة مرتبطة ببدايات التشكيل الثقافي والعقائدي لجماعة معينة، حيث ينظم المكان إلى التراث الفني والروحي لمجموعة ثقافية المتعاملة معه والمكان الفني منفصل عن المكان الطبيعي، لأنه سيتأثر باللذة الجمالية التي تعجز الأمكنة الواقعية عنها، فالأمكنة الفنية تختزل النشاط الإبداعي، وتتسم بالديمومة، وسهولة التواصل لأنها ذات طبيعة تخيلية.

لا يمكن حصر المكان دون أخر، ذلك لان أمكنة تتداخل فيما بينها فينتج التوالد وتتسع محدوديته وتتضح لنا أمكنة جديدة متخيلة تماثل الأمكنة الحقيقية، ذلك أنها تتبادر إلى ذهن القارئ لتقنعه بحقيقة وجودها وعليه فإنا:"الأماكن مهما صغرت ومهما كبرت أو

[1]/يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم، من كتاب جماليات المكان لمجموعة المؤلفين، ط2،المغرب، دار البيضاء، 1988، ص23.

[2]/حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمان، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء،ط2،المغرب، ص27.

مهما اتسعت أو ضاقت مهما قلت أو كثرت تظل في الجيدة مجموعة من المفاتيح الصغيرة التي تساعد على فك جو كبير مغاليق النص."[1]

المكان هو الصفحة الوحيدة التي تطل على الماضي وتؤرخ له بإخلاص، سواء كان ذلك على مستوى الاستقطاب الموضوعي وعلى مستوى الاستقطاب الذاتي (الوجداني النفسي)، فالنبش في هذه الصفحة هو بمثابة إعادة ماء الحبر للأحداث المحتفظ بها طول الزمن."[2]

عليه لا يمكن أن يعد بهذه الصفة الوظيفية وعاء يحوي جملة من الإحداث سطرها الماضي، أو سارية الحدوث في الحاضر، صار وعيا فكريا ونفسيا واجتماعيا ووجدانيا،تتفاعل مع الذات والجماعة ويبرز بأشكال ومستويات متعددة حسب الرؤية المستقطبة لتمثيله.

لهذا فهو من العناصر المؤثرة في إبراز فكرة الكاتب، وتحليل شخصيته النفسية لأن إدراك الإنسان المكان مباشرة وحسي وصراعه معه ما هو إلا تأكيد لذاته و تأصيل هويته فبقدر إحساس الإنسان بالمكان تكمن أهمية ووجوده ولا تجافي الحقيقة إذ قلنا إن المكان يضيف لحياة الإنسان مثل الزمان تماما، وجوده في المكان يستمر معه طوال عمره، فلا يكتسب الذات أهميته إلا من خلال تفاعلها مع المكان الموجود وقد أخذت هذه القضية حيزا كبيرا في حديث المفكرين و الفلاسفة.

1-1-مفهوم المكان عند النقاد الغربيين:

حاول النقاد الغربيون التمييز بين مصطلحات المكان التي تصب جميعها في مفهومه، حيث ميز المنظرون الألمان بين مكانين متعارضين في العمل الحكائي، حيث عنوا

[1]/ شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، عمان، الأردن، 1994، ص 276.

[2]/ باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد، الأردن، 2008،ص181.

بالأول المكان المحدد الذي يمكن أن نضبطه الإشارات الاختيارية كالمقاسات والأعداد، في حين قصدوا بالثاني الفضاء الدلالي الذي تؤسسه الأحداث ومشاعر الشخصيات في الرواية.

قام "غاستون باشلار" من خلال كتابة جماليات المكان:"باستجلاء المكان الأليف الذي يتذكره القارئ عند قراءة النص، كما يذكره في كتابه على أجزاء البيت أثناء دراسته وتركيزه على أماكن الألفة التي تحمل القارئ."[1]

كما يركز"غاستون باشلار" على القيم الإنسانية التي يتسم بها المكان معتمدا على فاعلية الخيال،حيث يكون المتلقي قادرا على استحضار الصورة المتخيلة لذكريات المكان الأليف، وقد ميز مستويين من المكان وهما:

***شعرية المكان:**

التي تجسد لنا المكان الأليف والذي يتسم بقيمه الحماية والمكان والاحتواء لقول "غاستون باشلار":"بأنه المكان الذي يركز الوجود داخل حدود المكان."[2]"

***معيارية المكان:**

التي يقصد بها الأبعاد الهندسية والجغرافية للمكان، بحيث البعد الجغرافي للمكان ممثلا لأبعاد الموضوعية المميزة له.

ركز على المكان الحميمي الأليف الذي يتسم بقيمة ايجابية بحيث يعتبر بيت الطفولة مكانا تسود فيه المحبة والألفة والاستقرار، وفضاء لتخزين الذكريات وتوسيع الخيال وبناء

[1]/ليلى قاسحي: دلالة المكان في رواية الورم لمحمد ساري، كنوز الحكمة، العدد3،الدراسات الغوية والأدبية، للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014،ص252.

[2]/ غاستون باشلار: جماليات الصورة، ترجمة غادة إمام، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص290.

أحلامه كما يقول:" هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة، ذلك المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة."[1]

تطرق "غاستون باشلار" فيما سبق إلى مستوى أعمق للمكان الحميمي ممثلا في بيت الطفولة الأليف الذي يتجاوز في أبعاد البيت الواقعي الذي ولدنا ونشانا فيه، فهو يتحدث عما يسميه البيت الحلمي الذي يمثل السكن الشاعري أي السكن في تلك الأماكن التي نحبها أو نفتقدها أو تحزننا، فهناك علاقة شاعرية تربطنا بهذه الأماكن فتجعلنا نشعر إزاءها بالألفة والحميمية، فهي تظل حية وباقية في ذاكرتنا."[2] أي أنها السكن الذي تظل فيه الذكريات حية وذلك من خلال الذكرى، وتحيا فيه الحياة الأليفة لأن:" الحياة الواقعية ليس لها دوام إمكانية التأصيل الجيد لتلك الألفة والحميمية."[3]

يلخص" باشلار" شعرية المكان على أن" المكان الأليف الذي يلجأ إليه الإنسان طلبا للراحة، ويقابل المكان المعادي مكان الضغط والإكراه، فالأول يرتبط بقيمة الحماية التي التي يمتلكها المكان أن تكون قيمة ايجابية فالقيم متخلية سرعان ما تصبح هي القيم المسيطرة، فهو مكان عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل ما في الخيال من تحيز، فهو يكشف الوجود في حدود يتسم بالحماية."[4] في حين يكون المكان المعادي هو"مكان الصراع ولا يمكن دراسته إلا في سياق الموضوعات انفعاليا والصورة الكابوسية."[5]

كما أشار أيضا إلى:" أن المكانية تتصل بجوهر العمل الفني أي الصورة الفنية التي تثبت فنيا ذكريات بيت الطفولة، حيث يعد بيت الطفولة هو جذر المكان ويرتبط بدينامية الخيال بالنسبة للمبدع والمتلقي."[6]

---

[1]/ غاستون باشلار:جماليات الصورة، مرجع سابق، ص 292

[2]/ غاستون باشلار: مرجع نفسه، ص 292.

[3]/ غاستون باشلار:جماليات المكان: ترجمة غالب هلسا المؤسسة الجامعية للدراسات النشر والتوزيع، ط1، 1999، ص31

[4]/ المرجع نفسه، ص 31

[5]/ المرجع نفسه، ص 31

[6]/ غاستون باشلار: جماليات المكان، مرجع سابق ص 06

أعطى "غاستون باشلار" تصوره للمكان الروائي حيث يقول:"إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا مباليا بأبعاد هندسية وحسب فهو مكانا قد عاش فيه بشر ليس موضوعي فقط بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب نحوه." [1]

المكان له أهمية كبيرة في النصوص الروائية لا تقل عن أهمية الزمن، على الرغم أن النقاد اهتموا أكثر بالمنطق، الأحداث والشخصيات في تحليلات السرد الأدبي علما أنه توجد نظرية للمكان إلا عندما أشار إليها "غاستون باشلار" في كتابه جماليات المكان عندما قام" بدراسة القيم الرمزية المرتبطة بالمناظر التي تتاح لرؤية السارد أو الشخصيات سواء في أماكن المتفتحة الخفية أو الظاهرة المركزية أو الهامشية وغيرها ومن التعارضات."[2]

ركز" جيرار جنيت" على تقنية الوصف وعلاقتها بالمكان، حيث عد الوصف عنصرا مهما في تشكيل المكان وبنائه، فالسرد لا يمكن أن يقوم دون الوصف مهما كان طابعه لقوله:" إن الوصف يقدم لنا صورة التكامل لما يمكن أن يكون عليه النص."[3]

شعرية المكان عند "جيرار جنيت" تكمن في الوصف لامتلاكه وظيفتين أساسيتين في السرد هما:

- ✓ **الوظيفة التزينية:**

هذه الوظيفة تتطلب بلاغة في اللغة وإبداعها في التعبير مما يتولد عنها جمال زخرفي للأمكنة.

- ✓ **الوظيفة الرمزية:**

تهدف هذه الوظيفة إلى تقديم ملامح الشخصيات ونفسيتها أو تعيين اللباس المنازل، والقصور، أو الأماكن المختلفة تهدف إلى إسهام في تشكيل الانطباع لدى المتلقي كما يسهم

[1]/المرجع نفسه، ص 31

[2]/حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمان، الشخصية)، ص 27

[3]/ ليلى قاسحي: دلالة المكان في رواية محمد ساري، ص 252

في تقوية الأشكال السردية و تشغيل دينامية الحكي، مما يزيد من بلاغة التعبير عن الموقف السردي."[1]

عمل" ميشال بوتور" على توضيح العلاقة بين المكان الروائي والمكان التخيلي الذي يوجد فيه القارئ مدعما رأيه بمقاطع سردية وصفية من روايات "بالزاك" ثم يتحدث عن فلسفة الأثاث وما توحي إليه من رموز ودلالات مختلفة."[2]، حيث يرى أن جمالية المكان في الروايات بغرض تأخير الأحداث وأن يكون وصف الأمكنة مرتبطا بالعصر والمستوى الاجتماعي حتى يصبح ذلك الوصف دالا على تعارض أنماط الحياة واختلافها، ولكي تصبح الصورة أكثر وضوحا.

يرى "ميشال بوتور" أن شعرية المكان تكمن في جوهر الوصف، فلا يوظف عنصر المكان في الرواية إلا بالوصف، فهو وسيلة لخلق فضاء روائي أين تتحرك الشخصيات وتتفاعل معه، كما لا يتحقق الفضاء إلا بتعدد الأمكنة،وفي هذا الصدد يؤكد:" أن الرواية هي أولا مجرد شيء من كتاب موضوع على مكتسباتنا وعن تفتحه، وتنتقل نظراتنا تلين الصفحات تعلق في الفخ، فتنقلب الغرفة التي نحن فيها إلى مكان أخر يخلقه ديكور الرواية."[3] ويقول أيضا "ومهما يكون من أمر. فإن الوصف عنصرا أساسي في بناء المكان، ما الروائي إلا رسام ديكور ورسام شخصيات."[4] وهذا يعني أن "ميشال بورتو" بين عالمين، عالم الواقع وعالم الخيال، فعالم الرواية عالم تخييلي مبني على حيلة فنية.

أما غريماس فقد انطلق في مفهومه للمكان من منطلق الرؤية إذ يذهب إلى« vision de l’espace » أي الفضاء النصي حسب اقتراحه "هيكل يحتوي العناصر

---

[1] /عمر عيلان:إيديولوجية وبنية الخطاب الروائي دراسة سيسيوبنائية في رواية عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة متنوري، ط1، الجزائر،2001،ص 220.

[2]/ليلى قاسحي: دلالة المكان في رواية الورم لمحمد ساري، ص252.

[3]/ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة:فريد انطونيوس، منشورات عويدات، ط1،بيروت،1971، ص59.

[4]/المرجع نفسه، ص 59.

متقطعة غير مستمرة لكنها منتشرة غير امتداده وفق نظام هندسي متميز يسهم في تصوير التحولات والعلاقات المدركة."[1]

حاول "جورج بولي" و"جليير دوران" "تقديم تنظيرات لعنصر الفضاء وإن جاء تحلياهما للمكان الروائي قاصرا على إدراك أبعاد المختلفة لبنية المكان في تشكيلاتها ومظهرها"[2]

تقترح الناقدة" جوليا كريستفا" من خلال دراستها لفن الرواية"رؤية الفضاء" vision « de l'espace » " الذي نرى في ضوئه الرواية الفنية للمبدع في عمله الداعي إزاء الكون وما يحيط به."[3]

أما النقاد الإنجليز فلم يكتفوا باستخدام مصطلح place/espace المكان والفضاء بل أضافوا مصطلحا أخر هو location بقعة للتعبير عن المكان المحدد لوقوع الحدث."[4]

1-2 مفهوم المكان عند النقاد العرب:

تأخر ظهور مصطلح المكان في النقد الغربي،وكان أكثر تأخر في النقد العربي، وأن فكره الاهتمام بالمكان كانت فكرة مستوردة كغيرها من الأفكار من الفكر الغربي.

وتعود أولى بوادر الاهتمام بالمكان لترجمة الناقد الروائي العراقي "غالب هلسا" لكتاب "غاستون باشلار" "شعرية الفضاء الذي نقله إلى العربية تحت عنوان "جماليات المكان"، ثم تلته بعد ذلك عدة دراسات نذكر منها،ما قدمه الناقد المغربي " حميد الحمداني" في كتابه "بنية النص السردي" "الذي يعتبره بمثابة العمود الفقري لأي نص، بدونه تسقط تلقائيا العناصر المشكلة له."[5]

---

[1]/باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص ص175-176.

[2]/حسين بحراوي: بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمان، الشخصية)، ص 26.

[3]/المرجع نفسه، ص 176.

[4]/ المرجع نفسه، ص 176.

[5]/باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص 177.

اهتم "حميد الحمداني" بمصطلح الفضاء فهو "مجموع الأمكنة التي تقوم عليه الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي، سواء تلك التي تم تصويرها مباشرة أم تلك التي تدرك بالضرورة بطريقة ضمنية مع كل حركة حكائية."[1] والفضاء في ظل هذا التوضيح "أشمل وأوضح وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو المكون للفضاء ومادامت الأمكنة غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة، فإن فضاء الرواية هو الذي يلقيها جميعا وأنه العالم الواسع الذي يشمل جميع الأحداث الروائية."[2] بمعنى أن الفضاء الروائي يشمل العالم الروائي بكامله من شخصية وأحداث...الخ.

يرى الناقد "حسين نجمي" أن مفهوم الفضاء أكثر انقلابا وشاسعة من مثل تلك التحديدات التي وضعها النقاد الغربيون، و حاول أن يقلل من أهمية المكان للفضاء فيقول:"ربما كان المكان أو العلائق بين الأمكنة المعينة، احد أسس هذه الفضائية التجريدية لكنها ليست هي كل شيء عند تحديد الفضاء"[3].

يضيف أيضا" أننا حينما نبحث عن تجليات الفضاء في النصوص الأدبية روائية كانت أم غيرها، نعثر عليها حاضرا في شكل من أشكال، أما موصوفة أو معروفة، محلوما بها أو متأملا فيها".[4]

جعل "حسين نجمي" من الفضاء السردي أساس البناء الروائي فهو يرى "أن الفضاء الروائي ليس مجرد تقنية أو تيمة أو إطار للفعل الروائي بل هو المادة الجوهرية للكتابة

---

[1]/ حميد الحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع،ط1،بيروت، 1993،ص 64.

[2]/المرجع نفسه، ص63

[3]/حسين نجمي: شعرية الفضاء، التخيل والهوية في الرواية العربية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1،بيروت،2000، ص 57.

[4]/ المرجع نفسه، ص 222

الروائية ولكل كتابة أدبية".[1] بمعنى أن الفضاء السردي متصل بالحياة النفسية للإنسان لان النص لا يصور الفضاء تصويرا طبوغرافيا، إنما يصوره حسب رؤية الشخصية.

ظهرت مصطلحات مختلفة تدل على المكان.وقد قدم"عبد المالك مرتاض" أحد هذه المفهومات، حين منح الأهمية لمصطلح الحيز ذلك أن الفضاء عنده:"هو كل ما عني حيزا جغرافيا حقيقيا، حيث نطلق على الحيز في حد ذاته على كل فضاء خرافي أو أسطوري، أو كل ما تفيد عن المكان المحسوس كالخطوط والإبعاد والإحجام والإثقال والأشياء المجسمة مثل الأشجار، الأنهار وما يعتري هذه المظاهر الحيزية من حركة أو تغيير".[2]

يؤكد "عبد المالك مرتاض" أن مصطلح الفضاء قاصرا بالقياس إلى الحيز، لما يمكن إن يشكله من بعد مادي،"الفضاء يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ، بينما الحيز يتصرف استعماله على نتوء الوزن والثقل الحجم والشكل (...) نريد أن نوقفه في العمل على مفهوم الحيز الجغرافي وحده."[3]

عقد "عبد الحميد بورايو" في مؤلفه منطق السرد فصلا لدراسة أنماط أشكال، حضور الزمان والمكان في نماذج روائية جزائرية وفصل في مقاربته بما أسماه الحيز المكاني مفرقا بذلك بينه وبين ما أسماه الحيز النصي.

---

[1]/حسين نجمي: شعرية الفضاء، التخيل والهوية في الرواية العربية، مرجع سابق، ص 59.

[2]/عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية، سيميائية، لرواية زقاق المدن، ديوان المطبوعات، (د.ط) الجزائر، 1995، ص 245.

[3]/ عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية(بحث تقنيات السرد)، ص 141.

الفصل الأول:

تجليات المكان ما قبل الإرهاب

1- ذكريات أماكن الطفولة

أخذت طفولة البطل في مسار حكاية "بوح الرجل القادم من الظلام" حيزا كبيرا، ويرجع ذلك لأسباب كثيرة جعلته يرتد في بداية سرده إلى مسقط رأسه وحياته مع والديه، ولهذا ذكر الفضاءات التي عاش فيها وحيدا، فكان محل حنان ورعاية بالغتين من طرف والديه، على الرغم من ذلك، كان إحساسه بالحرمان كبير، يظهر ذلك من خلال قوله:" فأنه لم يعوضني قط إحساسي بالحرمان من وجود شقيقة وخصوصا من وجود شقيق يكون أكبر مني سنا"[1] ،ذلك لأنه يريد أخا اكبر منه ليدافع عنه ويفتخر به. لأن "منصور نعمان" كان كثير الخصومات مع أبناء الجيران، ورغم كونه المعتدي الأول، إلا أن ذلك كان يثير سخط والديه ولهذا اثر فيه فضاء الطفولة أيما تأثير، وهذا هو السبب الذي دفع " إبراهيم سعدي" للتركيز على كل هذه الفضاءات، حيث ارتبط كل منها بمجموعة من الأحداث التي أثرت على نفسية الطفل، وسنحاول أن نعود إليها لنكشف عن خصوصياتها ودورها في نمو الأحداث.

1-1- البيت

يعد البيت مكانا مصمما من قبل الإنسان،للعيش فيه ،فهو المأوى الذي تأوي إليه جميع المخلوقات من اجل الراحة والاستقرار،فلا يبقى مجرد مكان نحيا فيه أو نلجأ إليه بل هو جزء من حياتنا ووجودنا وهو عالم يتيح للإنسان أن يحلم بهدوء، ويعتبر أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسان. و"هو المكان المغلق الاختياري الذي يحمل صفة الألفة وانبعاث الدفء العاطفي ويسعى لإبراز الحماية في فضائه، لهذا فالشخصية تسعى بإرادتها إليه من دون قيد أو ضغط يقع عليها "[2]

[1]/ابراهيم سعدي، بوح الرجل القادم من الظلام، منشورات الاختلاف، ط1، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997، ص09.

[2]/مهدي عبيدي:جماليات المكان، ثلاثية حنا منا، حكاية بحار، المرقأ البعيد، السورية العامة للكتاب، ط1، دمشق، 2011، ص07.

والبيت في رواية "بوح الرجل القادم من الظلام ""لإبراهيم سعدي" هو المكان الذي عاش فيه "منصور نعمان" مع والديه ولم يجد فيه الراحة، حيث كان يكرهه كرها شديدا لهندسة ديكوره البائس وقذارة الحي المتواجد فيه، ويتجلى ذلك من خلال وصف السارد له "ذلك البيت البائس الصغير، المتكون من مطبخ وغرفتين ضيقتين موحشتين"[1]

جسد السارد في هذا المثال معاني الفقر والبؤس، أي أنه مكان يسوده الضياع، فهو بيت متواضع قديم، يتميز ببساطته التي توحي بالمستوى الاجتماعي المتواضع للشخصية.

كما وصف موقعه في البنايات في قوله:"كان منزلنا يقع في الطابق العلوي لحارة تراكمت فيه البيوت وتشابكت بطريقة معقدة وبدون تخطيط، كانت تؤدي إليها أدراج وممرات ملتوية ضيقة شبيهة بالدهاليز"[2] وصف المكان الذي أمضى فيه طفولته بكل مراحلها، بحيث قال أن البيوت كانت متشابكة ليس لها تخطيط بمعنى أن كل البيوت كانت تشبه بعضها البعض، وتشبه في شكلها بيوت الأحياء الشعبية.

وينتقل إلى وصف الحي الذي يتواجد فيه بيته الذي لم يكن يطيق العيش فيه لبشاعة طرقاته وعدم توفر وسائل العيش فيه من نظافة وهدوء، ويظهر ذلك في قوله: "في الحي البشع بطرقاته المقطوع بعضها عن بعض بسبب تراكم القاذورات واختلاطها بمياه قنوات التصريف المتصدعة، وبسبب عماراته ذات الأربع طوابق وذات اللون الباهت، والنوافذ المحملة بالغسيل."[3]

يتصور القارئ من خلال ما ذكره السارد أن بيت "منصور نعمان" كان في حي شعبي، مبنى عمارة تكتظ بسكانها، نوافذه يملاها الغسيل ككل الأحياء الشعبية البسيطة.

---

[1]/ ابراهيم سعدي، الرواية، ص 07.

[2]/المصدر نفسه، ص 38.

[3]/ المصدر نفسه، ص 13.

كما ارتبط بيت "منصور نعمان" باللحظات والعلاقات الحميمية التي جمعته مع عشيقاته على الرغم من صغر سنه، إلا انه كان يمارس الحب معهن، ومثال ذلك "مسعودة المطلقة" جارتهم التي كانت تزورهم باستمرار، إذ ذات مرة وجدته في البيت بمفرده ابن جمعتهما غرفة واحدة وفراش واحد .بالإضافة إلى ذلك زوجة أب شريف صديقه المدعوة "وردية" البالغة من العمر خمسة وعشرين سنة والتي كانت تأخذه إلى عالمها الجميل، وذلك في بيت صديقه "شريف" الذي كان يتردد إليه لقوله:"أمسكت بيدي وقادتني خارج القاعة من دون أن تلقي اقل نظرة إلى رضيعها، سارت بي في الرواق، ثم أدخلتني عرفة وجدتها مرتبة ترتيبا جيدا، رغم أنني لم أكن بكامل عقلي، خمنت أنها حجرة عمي علي فقد كان فيها سرير يتسع لشخصين".[1]

يكشف البيت في هذه الرواية دلالات عن سلبية كالشعور بالوحدة القاتلة، ضياع النفس، كما يرتبط بدلالات الخوف الدائم والوحشية،والفراغ الرهيب والبرودة والضيق،بساطة الأشياء، أرضية متسخة، باب قديم، بالإضافة إلى ذلك يبرز دلالات ايجابية، فهو فضاء للألفة والمحبة بين أفراد العائلة ومكان للتآزر بين الأقارب والجيران، كما يعد أيضا ملجأ الأمن والاستقرار.

1-2- الحي

يعتبر الحي أقرب مكان إلى الفرد باعتباره مكانا ايطاريا عاما، يبسط أمامنا الحياة الإنسانية في بساطتها وسعتها. والحي "في اللغة مأخوذ من الحياة، وللحي معان كثيرة في اللغة منها البين الواضح ومنها الحق لقولهم "لا يعرف الحي من اللي" أي لا يعرف الحق من الباطل، ولعل الحي من أكثر الأمكنة العربية التي تشير إلى معنى الحياة وحركتها الدائمة "[2]

[1]/المصدر السابق،صص 21-22.

[2]/شاكر النابلسي: جماليات المكان في الروية العربية،ص 51.

يعد الحي المنشأ الأول الذي ينمو ويترعرع فيه الإنسان والمكان الذي أمضى فيه حياته بكل ما فيها سوءا كان حزن أم فرح،وفيه تكون أولى معاملاته مع الناس باعتباره "النواة الأولى للقرية والبلدة والمدينة.وهومن أماكن الطفولة الأولى مثله مثل رحم الأم والبيت الأول، ومثل هذه الأمكنة تتسم بالدفء والخنان والسلام والمحبة ومن هنا تبقى عالقة في الذاكرة أطول مدة ممكنة لأنها هي البدء وهي أطول الأمكنة الأخرى "[1]

يعد الحي بمثابة رحم الأم الذي خلقنا فيه أول مرة مكثنا فيه تسعة أشهر،أو كالبيت الأول الذي ولدنا فيه بحيث أنهما يتسمان بالدفء والحنان والأمن والسلام، لذلك تبقى الذكريات عالقة في الذاكرة مدى الحياة لأنها البداية والمنطلق الذي انطلقت منه حياة الفرد.

غير أن الحي في مسار الحكاية مكانا موحشا، يعم فيه الفقر والبؤس خاصة في فترة الاستعمار أين كثر الدمار الذي لم ينعم بالاستقلال بسبب القتالات السائدة فيه. فالبطل "منصور نعمان" قد أمضى طفولته بكل مراحلها في ذلك الحي القذر كما كان يصفه دائما بالقذارة والضيق والاكتظاظ، وهذا الحي هو "حي لاكلاسيير" والذي يعتبر أول منطلق لحياته الحافلة بالأحداث المثيرة والغريبة في الآن نفسه،"في الحي البشع بطرقاته المقطوع بعضها عن بعض بسبب تراكم القاذورات واختلاطها بقنوات التصريف المياه المتصدعة، وبسبب عماراته ذات الأربع طوابق وذات اللون الباهت الغريب والنوافذ المحملة بالغسيل."[2]

ففترة طفولة "منصور نعمان" والتي لم تدم كثيرا سوى اثنتا عشرة سنة فقط بسبب التغيرات التي طرأت عليه من الناحية الفزيولوجية مما شكل منعرجا حاسما في حياته، حيث أصبح مولعا بالنساء لإشباع رغباته الجنسية، خصوصا مع نساء الحي، وأول تجربة له كانت مع حالته "وردية" زوجة العم "علي" تليها تجربته مع "مسعودة المطلقة"،وقد أثمرت علاقته بها عن ميلاد ولد غير شرعي، مما أسكن الخوف والرهبة في نفس منصور خشية

[1]/شاكر النابلسي: جماليات المكان في الروية العربية، مرجع سابق، ص 52

[2]/إبراهيم سعدي: رواية بوح الرجل القادم من الظلام، ص 13

من أن يتم فضح أمره أمام إخوة "مسعودة المطلقة"، إلا انه اكتشف أن إخوة "مسعودة" قاموا بمغادرة الحي،و ذلك في قوله:"رأيت إخوة مسعودة المطلقة مع والدهم يملا ون شاحنة بأثاث بيتهم (...) لقد قرروا الرحيل عن الحي قرروا الهروب من النظرات والأقاويل والإشارات ومن العار الذي حاق بهم (...) لما رأيت الشاحنة غاصة عن أخرها بالأثاث تنطلق تحت صيحات الأطفال (...) أحسست بنفسي قد نجوت،نعم حينها فقط تنفست الصعداء حقا".[1]

نتيجة لكل هذه الأحداث أصبح "منصور" يمقت حيه،كل هذا جعله يتمنى أن ينتقل في يوم من الأيام من ذلك الحي البائس المشؤوم إلى مكان أفضل منه، وكان يود أن يجد مكانا ينعم بالراحة والطمأنينة إذ قال:" ما رأيك أبي، لو نرحل من هذا الحي ؟

ما السبب منصور ؟

أنا أكره هذا الحي و بيتنا ضيق."[2]

كل هذه الأحداث التي وقعت في طفولته التي عاشها سببت له معانات نفسية واجتماعية جعلته عرضة للضياع والتمزق النفسي.

يحمل فضاء الحي في هذا المسار السردي دلالات عدة مثل التخلف، الفقر، الاكتظاظ، البؤس والقذارة ويحيل القارئ إلى الحياة الاجتماعية البسيطة.

1-3- المدرسة:

تعتبر المدرسة مكانا وملكية عامة ومقصد التلاميذ طلبا للعلم والمعرفة، وبطل هذه الرواية "منصور نعمان" كغيره من التلاميذ كان يقصد المدرسة للغاية ذاتها، كما كانت المدرسة من أهم الأماكن التي أثرت فيه بحيث لم تفارق تفكيره رغم كرهه لها، لأنها تذكره بمعلمه "كاستيلان أندري" صاحب البيري الأسود الذي كان يكرهه بدون سبب.

[1]/المصدر السابق، ص ص 39، 40.

[2]/المصدر نفسه، ص .39

من تلك المدرسة بدأت معاناته، بالتحديد عندما كان تلميذا في الأقسام الابتدائية، أين بدأت تظهر عليه تغيرات لا تشاهد إلا عند البالغين، نتيجة لكل هذا صار يكره المدرسة وفي هذا الصدد يقول :" النتيجة أنني صرت امقت المدرسة، وأعاني أثناء حصة القراءة عذاب الجحيم، القسم كله ينفجر حين يأتي دوري لقراءة النص".[1]

كان "منصور نعمان" تلميذا نجيبا إلا انه كان يتحاشى الذهاب إلى المدرسة والنفور منها وذلك من خلال قوله :" كنت أخرج بمحفظتي من البيت لأذهب إلى المدرسة طبقا لظن والداي المسكينين بينما مقصدي في الواقع هي الطر وقات، أتسكع فيها".[2]

كما أن أول مرة أحس "منصور نعمان" فيها بالرغبة الجنسية نحو النساء كانت في المدرسة تجاه معلمته "كلبير ردمان" حيث كان ينظر إليها نظرة رجل لامرأة، لا نظرة تلميذ لمعلمته، وهو يعترف بذلك قائلا :"السيدة كلير ردمان كنت أحب ليس فقط رؤية وجهها، بل أيضا أتصور ما تحت ملابسها."[3]

كما اعترف أيضا بأن أحسن عام دراسي له في المدرسة رغم كرهه للمدرسة هو العام الذي درسته فيه السيدة "كلير ردمان" خاصة إذا ما قرن بالعام الذي كان فيه السيد "أندري كستلان" معلمه الذي كان يكرهه بلا سبب وذلك في قوله :"...فقد بدا لي العام الذي قضيته معها أحسن عام دراسي، خاصة بالقياس إلى تلك السنة الأخيرة التي أمضيتها مع السيد أندري كستلان، صاحب البيري الأسود الذي كان يكرهني بلا سبب ولا يناديني إلا بصاحب الصوت الخشن ."[4]

كان بمجرد رؤية معلمته السيدة "كلير ردمان" يغمره السرور والفرح لأنها كانت لا تتجاهله وتشفق عليه، وعند غيابه عن المدرسة كان يشتاق ويحن إلى صوت معلمته الطيب

---

[1]/المصدر السابق، ص 10.

[2]/ المصدر نفسه، ص 11.

[3]/المصدر نفسه، ص 11.

[4]/ المصدر نفسه، ص 26.

الحنون، حيث يقول :" ذات مرة اقتربت مني السيدة "كلير ردمان" وقالت بصوتها الطيب :أنا أعرف منصور انك تحسن القراءة فلا تقلق ."[1] إذ كانت تنازعه إزاء المدرسة في تلك الأيام رغبتان متنافرتان الأولى تدفعه إلى النفور منها، إذ صار يميل إلى العزلة والصمت والابتعاد عنها والثانية تجذبه إليها والتدقيق إلى معلمته "كلير ردمان" إذ يقول :" كثيرا ما حدث أيام غيابي عن القسم أن انتظرت ظهورها في الخارج خفية، وغير بعيد عن المدرسة، حتى أراها هذا السبب أيضا كنت أجد نفسي، كلما اقتربت مني، عاجزا عن النظر إليها من غير أن يحمر وجهي."[2]

1-4- الشوارع والطرقات :

يعد الشارع جزءا من المدينة، وأحد العلامات المكانية البارزة، فيها تنفتح عليه الأبواب وتتحرك من حلاله الشخصيات، و"الشوارع أماكن مفتوحة، تستقبل كل فئات المجتمع وتمنحهم كل الحرية في التنقل وسعة الاطلاع و التبادل، وهي لا تقوم على تحديات ولا حدود ثابتة مما يصعب على الكاتب عملية الإمساك بها."[3]

يشير شاكر النابلسي إلى أن "المكانة التي يحتلها الشارع في الرواية العربية وبخاصة في روايات المدينة، و يذهب إلى أن للشارع جمالياته المختلفة باعتباره مسارا وشريانا للمدينة وفي الوقت نفسه المصب الذي يصب في الليل والنهار، أشغالهم وتجلياتهم، فهو المسار والمصب في آن واحد."[4]

يعد الشارع مكانا بارزا في مسار الرواية، فقد كان مرتبطا بأحداث معينة، ففي بعض الأحيان يكون مزدحما مليء بالفوضى وأحيانا أخرى يمتاز بالهدوء يغمره جو من الحزن والكآبة والخوف.

---

[1]/ المصدر السابق، ص 11.

[2]/ المصدر نفسه،ص 11.

[3]/ياسين ناصير: دراسة المكان الروائي، نينوي للدراسات النشر والتوزيع، دمشق،ط1، 2001، ص ص 14،15.

[4]/شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية،ص 65.

اتخذ "منصور نعمان" في صغره الشوارع والطرقات مكانا للخصومات الكثيرة التي كانت تجري بينه وبين أطفال الجيران وبين أولاد الحي عامة إذ انه دائم الشجار مع الناس، بالإضافة إلى ذلك جعل من الشارع المخرج والسبيل الوحيد للهروب من المدرسة نتيجة مقته وكرهه الكبير لها و ذلك في قوله :"هكذا وجدت نفسي في الأخير اعمد إلى التغيب، فكنت اخرج بمحفظتي من البيت لأذهب إلى المدرسة طبقا لظن والداي المسكينين، بينما مقصدي في الواقع هي الطرقات، أتسكع فيها".[1]

فقد كانت الشوارع والطرقات في هذه الرواية بمثابة الأنيس اللبيب الذي يلجا إليه "منصور نعمان" ليشاركه أحزانه وهمومه.

[1]/ المصدر السابق، ص11

2. ذكريات أماكن المراهقة:

2-1-البيت:

يمثل البيت في الرواية "بوح الرجل القادم من الظلام"المكان الذي عاش فيه البطل وعبر في بداية مسار الحكاية عن كرهه الشديد لأنه ارتبط بطفولة حزينة فنذكر أولا هندسة شكله وديكوره البائس، وقذارة الحي الموجود فيه من خلال وصفه:"في ذلك البيت البائس الصغير المتكون من مطبخ وغرفتين ضيقتين موحشتين"[1]

كما ارتبط بيت منصور بلحظات العشق الحميمية التي جمعته مع عشيقاته اللواتي عاشرهن فيه وكانت أولهن خالة وردية زوجة أبي شريف، التي كانت تأخذه إلى عالمها الأسطوري الجميل وذلك في بيت صديقه شريف الذي كان يتردد إليه ليس رغبة في زيارة صديقه ولكن لهفته لرؤية نصيرة من ذلك قوله:" كنت أيضا أحب الذهاب إلى دار شريف لكن للأسف ليس لمجرد التمتع بثمار أشجاره أو بفنائه الواسع،الهادئ لكن لرؤية أخته نصيرة التي كانت تكبره سنا، والتي كان وجهها يشرق مبتسما كلما وقع نظرها علي."[2]

أصبح منصور مهووسا بالنساء ويختلس النظر إلى البنات، وكانت خالة وردية أول تجربة مع النساء وهذا ما نستذّكره في قوله"أمسكت بيدي وقادتني خارج القاعة....أدخلتني الغرفة وجدتها مرتبة ترتيبا جيدا.....فقد كان يوجد سرير يتسع لشخصين....من غير أن تكف عن الابتسام أنشأت تخلع لي ملابسي قطعة .....لم يكن بالإمكان أن أقاومها لأن رجائي الوحيد آنذاك تستمر تلك اللحظات ."[3]

---

[1]/إبراهيم سعدي:"بوح الرجل القادم من الظلام"، ص33.

[2]/المصدر نفسه، ص14.

[3]/المصدر نفسه، ص ص21، 22.

تكررت زيارات منصور إلى بيت عمه علي،إلى أن حبلت خالة وردية وأصبح يشمئز منها لقوله:"مرت فترة من غير أن أستطيع رؤية خالتي وردية بفردها في البيت،لكن ذلك لم يكن يثير في نفسي أي امتعاض فقد حبلت من جديد وكان بطنها ينتفخ يثير قرفي".[1]

أصبحت علاقة الجيران مع والدة منصور جيدة، وكانوا يتبادلون الزيارات أمثال مسعودة المطلقة لقوله:"واحدة فقط اللاتي صرن يتبادلن الزيارة والداتي أعني مسعودة مطلقة، كانت لا تتردد عن الابتسام لي والحديث معي."[2]

أقام منصور علاقة مع مسعودة المطلقة، وجد نفسه معها في فراش واحد تجمعهما غرفة واحدة في بيته ويقول:"...كنت قد اكتسبت على أية حال شيئا من الخبرة بهذه الأمور فلم أحتج على أن تقودني مسعودة المطلقة من يدي كما فعلت زوجة عمي علي الشابة أمسكت بيدها وأدخلتها غرفتي وأرقدتها فراشي تمددت عليها ملتصقا بها، دون أن ينزع أحدنا ثيابه."[3]

أثمرت هذه العلاقة عن ميلاد ابن غير شرعي فخاف منصور من إخوة مسعودة المطلقة لفضح أمره، وعواقبه وخيمة وهذا ما يفسر سعادته لما اكتشف أن إخوة مسعودة المطلقة سيغادرون الحي هروبا من كلام الناس والعار لقوله:" رأيت إخوة مسعودة المطلقة مع ويملأون الشاحنة بأثاث بيتهم .... قرروا الهروب من النظرات والأقاويل والإشارات ومن العار الذي لحق بهم ...أحسست بنفسي قد نجوت،نعم،حينها تنفست الصعداء."[4]

حدث الأمر نفسه مع "حورية" زوجة محافظ الشرطة الذي إعتاد "منصور" أن يذهب إلى بيتها لما يكون زوجها غائبا عنها إلا أنها في إحدى المرات شاء القدر أن يكتشف

[1]/المصدر السابق، ص 26.

[2]/ المصدر نفسه، ص 25.

[3]/المصدر نفسه، ص38.

[4]/المصدر نفسه، ص 39.

زوجها المخدوع هذه الحقيقة وهذا ندركه من خلال قوله:"يظهر زوجها عند مدخل غرفتها ليشاهدني في فراشه."[1]

2-2- الشّارع:

هو مكان تحركت فيه الشّخصية المحورية، وكان فاعلا ومكثف الحضور باعتباره مسرح الأحداث، فإليه يفر منصور هروبا من المأزق و المشاكل التي يوجهها، نتيجة علاقاته مع الفتيات وإتباع شّهواته ولذاته الّتي تحولت إلى هوس، ويمكن أن نستشهد تجربته مع "حورية" زوجة المحافظ الشرطة فرضت عليه أن يركض ويهرب عاريا في طرقات مدينة "حسين داي" وهذّا ما ندّركه من خلال قوله: "يظّهر الرجل عند مدخل غرفته ليشاهدني مع زوجته في فراشه،ألقي بنفّسي خارج السرير راكّضا نحو النافذة، ألقي بجسمي من الطابق الأول إلى الطريق، أركض، كالمجّنون على أرصفة طرقات مدينة "حسين داي" المكّتظة بالمارة المدهشين... تحّت وطأة الذعر أنسى بأنّني أجري في الطريق عريا، كما يوّم ولدت".[2]

إضافة الصدفة غير المنتظرة والمتوقعة رّؤيته لمسعودة المطلقة الّتي كانت فيما مضى عشيقته، فيراها أمامه جالسة لتشحّذ وتطلب في حالة يرثى لها هي وابنها الصّغير غير المنّتظر أنّ يكون ابن منصور لقوله:" على قطعة ورق مقوى كانت قابعة،غير بعيد عن مدخل قصر العدالة،وسط أمتعة رثّة،معطاة الوجه بجزء من حائك أسود وضعت يدّها اليسرى عليه تحّت العينين،فيما اليّد الأخرى ممدودة أمامها، تتوسل بصوت ذليل:

صدقة يا مؤمنين .....صدقة يا مؤمنين."[3]

---

[1]/ المصدر السابق، ص 109.

[2]/ المصدر نفسه، ص109.

[3]/ المصدر نفسه، ،ص 123.

يضيف بعد ذلك "بجانبها جلس طّفل قذر الملابس مثلها وسخ الوجه يأكل قطعة خبز يابس، طفل من المفروض أن يكون في المدرسة."[1]

2-3- فيلا روز :

هي منزل فخم وكبير قرب البحر، يكتسبها الأغنياء فقط.وردت في مسار الحكاية وحدد السارد المدينة الموجود فيها وهي "كوفيل" التّي تعود ملكيته للمستوطنة الفرنسية، وتتميز هذّه الفيلا بإطلالتها على البحر. كانت "فيلا روز" مثل البيوت الأروبية الأخرى، وقد كانت بالنسبة لـ "منصور" أول بيت أوربي تطأه قدماه،ويقول: "كانت أول مرة ألج فيها بيتا أوربيا".[2]

يذهب "منصور" بعد الإستقلال إلى مدينة "كيوفيل" هناك التقى بمعلمته "كلير ردمان" صدفة ويؤكد قائلا: "في تلك، وأنا أسير في مدينة كيوفيل، رأيتها تتقدم نحوي في طريق مساكن فردية مطلة على البحر،حاملة محفظة يدوية صغيرة سوداء،منذ الوهلة الأولى تعرفت عليها".[3]

دعت "كلير ردمان" منصور إلي بيتها "فيلا روز" لتناول فنجان قهوة لقوله"حينها دعتني إلى تناول فنجان قهوة في بيتها."[4]

لكن الأمر لم يتوقف هنا أول مرة في حياته يشرب الخمر وأكل لحم الخنّزير ومارس الجماع مع معلمته" كلير ردمان"، وفي حديثه عن هذا يقول:"في ذلك اليوم ولأول مرة في حياتي في حوالي الساعة الثامنة ليّلا،شربت الخمر وأكلت لحم الخنزير...شرابا آخر إلى جانب زجاجة النبيذ،ولحما أخر فضلا عن لحم الخنزير(...) داخل "فيلا روز" المشرفة على

[1]/المصدر السابق، ص 123.

[2]/ المصدر نفسه، ص43.

[3]/ المصدر نفسه، ص 45.

[4]/ المصدر نفسه، ص 55.

البحر،حيّث أحّسست بنفسي بعيدا عن العالم،في جزيرة نائية مارست الجّماع مع معلمتي السّابقة،السّيدة كلير ردمان،في سرير غرفتها".[1]

غادر"منصور" "فيلا روز"مع معلمته لمرفقتها إلى "حسين داي" مقبرة النصارى، لتوديع قبور أفراد عائلتها، لأنّها ستغادر البلاد وتّرجع إلى وطنّها،ولم يرغب" منصور" لفكّرة رحيل معلمته وعرض عليّها البقاء لكنّها رفضت لقوله. "لماذا لا تبقين هنا في الجزائر السيدة ردمان؟

ألا تّتذكر بأنه سبق و أن أجبتك عن هذا السؤال ؟."[2]

غادرت "كلير ردمان" البلاد، شعر "منصور" باليأس والألم وبالوحدة: "فكرت بالالتحاق بالمخلوق الوحيد الذّي كان يشاطرني نفّس الألم، نفس اليأس،فكرت بوبي."[3]

شاء القدر أن تنقلت ملكية "فيلا روز" إلى "منصور" بعد نيل الجزائر الإستقلال ورحيل المستوطنين عنّها، تنقل "منصور" وعائلته إلى "فيلا روز" فكانت والداته ترّتدي ثياب معلمته فلم يرّغب بلبس ولاداته حتى شعر القرف وإحتقار والعار في حديثه هذا "رأيت والدتي خارجة من "فيلا روز" مرتدية ملابس معلمتي كل شيء تدثرت به كان لها،الطابور الأسود، القميص الأبيض المطرز عند الصدر الحذاءان الأسودان ذو الكعبين العاليين والجوربان الطويلان...،تظلم الدّنيا أمامي حين أراها لابسة ثياب معلمتي، هذه المرة أيضا لم يمكنني ألا أن أحس بالاحتقار لها وبغثيان مشوب بشعور".[4]

في مختلف أركان هذه الفيلا وقعت أحداث كثيرة، فيتذكر إحدى غرفها أين مارس "منصور" الجنس مع معلمته، وعبر إحدى نوافذها المطلة على البحر هرب هو وعائلته خوفا

[1]/المصدر السابق ،ص 55.
[2]/المصدر نفسه، ص 60.
[3]/ المصدر نفسه، ص 65.
[4]/ المصدر نفسه، ص 80 و81.

عليهم من إخوة "زكية" أن يكتشفوا بما فعله، وفي حديثه عن هذا يقول:" والداي كان ينويان الفرار عبر الباب (...) عرضت عليهما أن نهرب عبر النافذة."[1]

إن انتحار"زكية" هو الأمر الذّي كان السبب ترك "منصور" وعائلته "فيلا روز" ومغادرة مدينة "كيوفيل" خوفا على حاله من إخوة "زكية" يقول والد منصور:"لا أدري لماذا لم ادعك هناك ليقتلوك، ذرية مثلك، ما لفائدة منك؟ منّذ ولادتك لم تعرف سوى أن تخلق متاعب!للحظة فكرت أن أرد عليه بأنّي طلبت منّهما أنّ يهربا ويتّركاني في "فيلا روز" في القاعة، حيّث تهالكت الأرضية، تحت صورة العقيد لأنتظر مجيء إخوة زكية ليقتلوني. أتركاني تعبت من نفسي، أهربا أنتما فقط، أريد أن أموت، توسلت لهما. نهرب!لكن إلى أين؟ إلى أمك؟ تهرب من الله أنت؟ تسمي الفرار من عبد مثلك هروبا؟ صاح أبي."[2]

2-4-البحر

هو المكان المفتوح الذي ذكره السارد، وله أهمية خاصة وهذا ما يؤكده حضوره المتكرر في أغلب صفحات، فالبحر في هذه الحكاية ارتبط أولا "بفيلا روز" " لكلير ردمان" وبعلاقات منصور الحميمية مع معلمته "كلير ردمان" أين كانا يخرجان باتجاه البحر إذ يقول: "خلعنا ملابسنا و مشينا باتجاه البحر،على الرمال الملتهبة تحت أقدامها تاركين بوبي وراءانا، كانت السيدة كلير ردمان سباحة ماهرة."[3]

كان منصور ومعلمته يترددان إلى البحر أين أمضى معظم أوقاته، وأجمل اللحظات وهما يتأملان جمال البحر وسحره، وكانت أخر ساعات الّتي قضاها معها، كانت لحظات حميمية وجميلة وفي نفس الوقت لحظات الوداع.

---

[1]/ المصدر السابق، ص 99.

[2]/المصدر نفسه، ص 104.

[3]/المصدر نفسه، ص 53.

رحلت "كلير ردمان" وعادت إلى وطنها، وكان البحر وسيلة لينس "كلير ردمان" غير أنه تحول إلى علامة ترد منصور إلى الماضي، ليسترجع ذكرياته مع عشيقته "كلير ردمان" يقول:" في لحظة من اللحظات تقدمت نحو النافذة عاري الصدر قبالة البحر الهائل، الغارق في الظلام،تحت النجوم المتلألئة وسط العتمة حتى أصرخ أقوى من هدير الموج أقوى من البحر، من القدر من التاريخ كلير ردمان رأيت البصر الأزرق."[1] ويقول أيضا:" الهادئ إلى حد لم تصل فيه سمعي حلبة الموج المتهالك على الصخور، أسفل النافذة الّتي ظلت مفتوحة طوال الليل، موجة الحزن غمرتني بفئة تذكرت السيدة كلير ردمان، بوبي، الميناء كل شيء." [2]

كما كان البحر شاهد على لقاءات "منصور" و"زكية" بين الصخور، ونهايتها مأساوية .حيت انتحرت "زكية" عشيقته في البحر بعد حملها منه، واكتشاف أهلها لذلك، ففضلت الموت خوفا على منصور من خطر عائلتها وسط دموع وألم على كل منهما في البحر ويدل ذلك في الرواية قول والدة منصور :" زكية رمت بنفسها في البحر! أخرجوها ميتة ! المدينة كلها تبكي."[3] ويقول أيضا "لست خائفا على نفسي، بل عليك أنت، أوضحت لها وأنا أرى قطرات من ماء البحر جاءت بها الرياح، تقع على وجهها الجميل، لأحسن حينها كما لو أن البحر يبكي معنا هو أيضا."[4]

2-5- الشاطئ :

تحدث الراوي عن الشاطئ لأنه يذكره دائما بالأيام الّتي قضاها مع عشيقاته سواء مع زكية، خاصة مع معلمته حيث كان ينصب مظلة أرضية على الشاطئ في مكان منعزل بعض الشيء لقوله :" وجدنا الشاطئ مكتظا بالمصطفين الذين كانوا كلّهم من العرب، وكلّهم

[1]/ المصدر السابق، ص100.

[2]/ المصدر نفسه، ص 73.

[3]/ المصدر نفسه، ص 100.

[4] / المصدر نفسه، ص 102.

من الذكور أيضا، السيدة "كلير ردمان" لم تأبه للأمر وربّما لم تنتبه له أصلا، غير أنه اختارت أن تنصب المظلة الأرضية في مكان منعزل لبعض الشيء."[1]

كان منصور يقضي معظم أوقاته في الشاطئ يفكر ما سيحل به بعد رحيل كلير ردمان من العذاب والشوق والحنين لقوله :"بقيت ذلك النهار قضيته على الشاطئ إلى غاية الساعة الخامسة. سواء وأنا داخل الماء أو ممدت تحّت مظلتها الأرضية، لم أفتأ أفكر فيها وفي سفرها وفي انتظار لحظات رجوعي إليها."[2] كما أن كذلك مارس الحب مع محبوبته زكية لأخر مرة على الشاطئ بين الصخور غير مبعدة من موج البحر الصاخب لقوله :"في لقائنا ذاك مارست الحب معها الأخر مرة، بين الصخور على غير مبعدة من موج البحر الصاخب، بمعزل عن المدينة، وسط الدموع والألم والموت المخيم علينا بظله القاتم."[3]

2-6- الثانوية:

هي مؤسسة انتقال التلاميذ من مكان ما بعد المتوسطة إلى المرحلة الثانوية، وقد التحق "منصور" بثانوية "فيكتور هيجو" فازدادت معاناته في الثانوية، إذ تعرض للتمييز العنصري، حيث تم تفتيشه في عدة مرات داخل الثانوية سواء كان ذلك من قبل الناظر أو من قبل أساتذته داخل القسم لكونه تلميذا جزائريا، وفي حديثه عن هذا يقول "حيث حدث مرات عديدة وأن فتش الناظر، وحتى الأساتذة أحيانا محفظتي، خاصة في الفترة التي كانت تنفجر فيها القنابل في أماكن تجمع "الأقدام السود" أثناء العاصمة.....ذلك أنه لم يكن هناك، في ذلك الوقت شيء أسهل من توقيف تلميذ عربي، بائس عن مواصلة دراسته."[4]

بالإضافة إلى مشكلة الفتيات اللواتي كان يدرس معهن، كن لا يتكلمن معه وفي حديثه يقول:"الشقروات الأوربيات اللائي صرت أدرس معهن في ثانوية "فيكتور هيجو"

[1] /المصدر السابق، ص 53.

[2]/المصدر نفسه، ص 57.

[3]/ المصدر نفسه، ص 103.

[4] / المصدر نفسه، ص 35.

"بحسين داي"، لم يكن يقبلن حتى مجرد الكلام معي، ربّما كن بتلك الطريقة،يحضن من ناحيتهم الحرب ضد "الفلاكا" داخل تلك الثانوية."[1] طرد منصور من الثانوية بسبب غيابه عن الثانوية ومشاركته في إضرابات 11 ديسمبر1961، لقوله:"للمشاركة في الإضراب العام يوم11 ديسمبر1961، الذي دعت إليها جبهة التحرير الوطني تغيبت عن الدراسة، طردت من المدرسة."[2]

تعرف منصور على الطالبة" زكية" في المرحلة الثانوية، وأقام معها علاقة بعد أن عاد إلى مقاعد الدراسة وحدثنا عن كيفية التقاء بها قائلا :" كل شيء بدأ بنظرة مني وقعت عليها وهي واقفة وسط زميلاتها عند باب الثانوية التي كانت تدرس فيها، في السنة الثانية، أيام كنت في السنة النهائية، في الواقع كنت أكبر واحد عمرا في المؤسسة بكاملها،بسبب السنوات الماضية الّتي انقطعت فيها عن الدراسة."[3]

يمكن القول إن المرحلة الثانوية لا تختلف كثيرا عن المراحل الدراسية السابقة، فقد تعرض للمشاكل عديدة مثل التمييز العنصري، وشبح هوس النساء يلاحقه دائما.

[1] /المصدر السابق، ص 35.

[2] / المصدر نفسه، ص 40.

[3] / المصدر نفسه، ص 79.

3 . وصف أماكن الهجرة

3-1- الجامعة

الجامعة هي مكان التحصيل المعرفي والعلمي، لكنها في مسار قصة منصور ارتبطت بميلاد علاقة حب جديدة، كان يدرس في الجامعة يأمل أن يتفطن ويستيقظ إلى مواجهة تلك الفطائر الّتي انتشر سمها في السنوات الماضية، إن لم يستطيع بالتهديد والوقوف ضدها بقلمه وكتاباته حول ما كان يعانيه إنسان العشرية السوداء.

سافر منصور إلى فرنسا قصد إتمام دراسته هناك ومواصلة دراسة الطب، وهناك التقى "بنسرين شيراز" في الحي الجامعي، وكانت مكان للعشق والعلاقات الغرامية والشوق واللهف، ولدت علاقات الشغف والجنس. فأقام علاقة معها وكان مكان لقائهما في المطعم الجامعي ويقول :"وسط طابور من الطلبة وقفت آنذاك، أتقدم ببطئ نحو المطعم الجامعي،هي أيضا اصطفت في نفس ذلك الطابور الحلزوني الطويل."[1] وكان ذلك أول لقاء بينهما وصفاه إياه :" أحسست بنفسي أكاد ألوح بيدي قائلا: تعالي نسرين شيراز هنا قدرك ! جلست أمامي، جلست بعينها السوداويين الواسعتين العميقتين وببسمتها الوديعة الطفولية."[2]

كما كان يلتقي عشيقته في غرفتها بالحي الجامعي حين يقول: "شهور مضت قبل أن أزيل عذريّتها في غرفتها بالحي الجامعي، وسط غرفتها الصغيرة بقيت واقفا فيما هي تستند ظهرها إلى النافذة شابكة ذراعيها إلى صدرها بادية التعاسة[3]."

افترق منصور عن "نسرين شيراز"دون أن يصيبها مكروه،بعد مدة عاشر منصور "سيلين" وتعرف عليها أيضا في الجامعة، لكن اضطر إلى الإبتعاد عنها تحت التهديد من

[1] / المصدر السابق، ص 140.

[2] /المصدر نفسه، ص 141.

[3] / المصدر نفسه، ص 142.

طرف صديق "سيلين" مطلبا إياه بأنّ يبتعد عنها بقوله:" أتعتقد أنه سنتركك هكذا بسهولة تأخذها منّا من أجل إرضاء نزوات عضوك البائس والقذر."[1]

لم يواصل "منصور" مساره الجامعي في باريس، فقد تلقى رسالة تحمل فاجعة موت أمه، مما اضطر العودة إلى الوطن وبداية لمأساته ومعاناته.

3-2- الشّارع:

ذكرنا سابقا إلى مفهوم الشّارع جزء لا يتجزأ من المدينة، وأحد العلامات المكانية البارزة فيها، فعندما سافر "منصور" إلى فرنسا ارتبط بأحداث معينة كانت تمتاز بالهدوء ويغمره جو من الحزن والكآبة واليأس. تجول "منصور" في شوارع باريس فيها خاصة أثناء الليل،هو ميؤوس يحمل نظرات البؤس والكآبة إذ يقول:"في شّوارع باريس الخالية المغلقة، محلاتها الحزينة في ذلك الوقت الذّي تجاوز منتصف الليل، رحت أمشي، لا أنوي على عل[2]ى شيء." وقوله أيضا:" كل ألفيته مغلقا في شوارع باريس في ذلك الوقت المتقدم من الليل إلا محل مغربي، جلست إلى مقعد في حديقة عمومية جلست تحت شجرة وحيدا في المكان، وسط الليل المطبق، رحت أشرب بدون توقف ودون أمل،ووسط ضباب السكر تذكرت أبي وأمي."[3]

كما ذكر في الرواية شارع "مونبارناس" في الوهلة الأولى عندما التقى بمعلمته "كلير ردمان" صدفة ويقول هذا:"رأيّت تتقدم نحوي في شارع "مونبارناس" في الوهلة الأولى لم أتعرف عليها، ثم أحسست كما لو أنني أعود عدة سنوات إلى الخلف."[4]

---

[1] /المصدر السابق، ص 175.

[2] /المصدر نفسه، ص 144.

[3]/ المصدر نفسه،ص 144.

[4]/ المصدر نفسه، ص 171.

ذكر شّارع "شاتلي" كان مع "سيلين" لقوله:"في شّارع "شاتلي" يدي في يدها بين الحين والأخر كنت ألتفت إلى الخلف."[1]

عندما كان يمشي "منصور" في طرقات باريس، تعرض لتهديد من طرف صديق "سيلين" ويقول:"يومين بعد ذلك (أم ثلاثة) و أنا أسير في طريق ضيق (كيف كان اسمه يا ترى؟) انتصب أمامي بغتة، وسط الرصيف، ذلك الشاب الطويل الشعر الضخم الجسم، على بعد خطوتين من ممر ضيق وقصير."[2]

3-3- المقهى:

يعدمن الأماكن الشعبية التي يلتقي فيها الناس هي بؤرة اجتماعية، فالمقهى ملجأ الهروب من الضغوطات والمشاكل، بحثا عن التسلية وتمضية الوقت،ويرتبط عادة بشرب القهوة والاستمتاع بها."[3] كان تحتضن مكان لقاءات "منصور"بحبيبته "سيلين" الّتي تعرف عليها في باريس:"حدث وأن التقيت بها بعد ذلك عدة مرات هي مع فرانز وأنا وسيلين، كنا نتبادل التحية من بعيد، رغم أنه اتفق لنا في بعض المناسبات أن جلسنا أربعتنا في مقهى حول طاولة واحدة."

كما أنه التقى "منصور"بعشيقته السابقة معلمته "كلير ردمان" في المقهى، بعد غياب طويل فيداهمه الحنين وابتهاج مكهرب بألأم قديمة غير منسية ويقول:" في أقرب مقهى رحنا نجلس بطاولة موجودة في الركن بقينا معا حوالي ساعة."[4]

[1] /المصدرالسابق، ص 153.

[2] / المصدر نفسه،ص 174.

[3] / المصدر نفسه، ص 153.

[4] / المصدر نفسه، ص 154.

4. مسارات أماكن العودة إلى الوطن

4-1- البيت:

وصف "منصور" حالة بيته بعد خسارة أهله ويقول:"قرب المدخل وسط العتمة، صعدت الدرج المؤدي غلى بيتنا قائلا في قرارة نفسي قتلها وأنا واقف أمام بابنا القديم، الذي تحول إلى الرعب الذي ادري عند أي شيء سينفتح، عن الحياة أم عن الموت، ترددت بين أدقة مستأذنا أو أدير مزلاجه وأنا أرشح عرقا و يدي مرتعشة، أمسكت المزلاج الباب انفتح، دفعته إلى أمام، دخلت الأصوات لا جلبة ظلام ."[1]

يقول أيضا:" أشعلت الضوء،أو ما رأيت، في أرضي الأوراق والمكان مملوء بالغبار، تقدمت نحو غرفة أبي وأمي، لم أجد شيئا، من الأوراق و المكان مملوء بالغبار، تقدمت نحو غرفة أبي وأمي، لم أجد شيئا، السرير، لا خزانة،عدا براز الجرذان وقطعة كبيرة من الورق المقوى، وقارورة نبيذ فارغة. غرفتي المجاورة لقيتها بدوري فارغة إلا من فردة حذاء مغبرة بالية من أحذية أبي."[2]

يقول أيضا:" في المطبخ وقعت على الخنافس وهي منتشرة في كل مكان، وسط بعض الأوعية المتسخة من كؤوس و فناجين وصحان وما إلى ذلك."[3]

يصف لنا "منصور"البيت في حالته الفوضوية، التي تجسدها زجاجات الخمر المرمية على الأرض، وجدرانه وغياب أثاث وبعض الأشياء، حيث أصبح البيت مكان للذعر والخوف، وهذه الحالة التي عليها البيت لا تجعل منه مكانا للراحة والاطمئنان، بل تزيده معاناة، وإحساس بالوحدة والضياع، والرغبة في الهروب إلى ذكريات الماضي.

---

[1] / المصدرالسابق، ص 189

[2] /المصدر نفسه، ص 190

[3] /المصدرنفسه،نفس ص190

يسترجع "منصور" ذكرياته ويتذكر أيام طفولته التي قضاها آنذاك وطيشه وشجاراته الدائمة مع أبناء جيرانه، ضف إلى ذلك حياة اللهو والحب دون أن ننسى ذكرياته التي عاشها بين أبويه وحبهما الكبير له، لأنّه ابن الوحيد الذي رزقهم الله عز وجل،فكل زاوية في البيت لها ذكرياته الجميلة رسخت في ذهن "منصور" كل هذا جعله غارق في دوامة ظلام قاتم. حيث شعر أن بيته تحول إلى قبر موحش ورهيب، حيث أضحى فراغ ذلك المكان ذكرى تلاحقه ويقول:"لماذا لا أستطيع أن أمنع نفسي عن التفكير في تلك اللحظات؟ اللحظات الفظيعة، كم وقتا بقيت هناك، أي مكان بيتنا؟ ربما قرنا من الألم أهرب منه في الأخير. من يستطيع أن يمكث في قبر؟."[1]

يقول أيضا:"لا أنوي على شيء إلا الهروب من نفسي، من مشاهدة أرى فيها أبي وهو يقتل أمي، من تلك الجدران البشعة وهي تروي جريمته."[2]

تبدلت نظرة "منصور" لبيته إذ يراه مسرح للجريمة التي راحت ضحيته والدته.

4-2- الحانة:

هو مكان يتردّد الناس عليه سواء ضاقت بهم الهموم والمشاكل "فالحانة مشرب الخمر التي يلجأ أليها الإنسان العربي هروبا من واقعه الطاحن، وحاضره المقموع."[3]

إن الأزمات والتناقضات في حياة "منصور"، ما جعلته يتردد دائما على الحانات كلما ضاقت به الدنيا لينسى معاناته، ووفاة والدته وتلقي رسالة من "نسرين" أنه عندما إستلمها كانت قد تركت هذا العالم نهائيا، كل هذا خلق لدى" منصور" حالة نفسية متأزمة، فلم يجد أمامه إلا الحانات لعل ينسى كل هذه المعاناة، كان يتردد دائما على الحانات ويظهر ذلك في قوله:"حاولت إن أهرب من نفسي لكن إلى أين؟ الحانات وحدها فتحت صدرها.حانات

[1]/ المصدر السابق، ص 194.

[2]/ المصدر نفسه، ص 194.

[3]/شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 222.

حقيرة تعيسة، قذرة مكتظة على الدوام بالبؤس البشري، أقصدها فورا خروجي من العمل وأغادرها وسط الليل، عندما تغلق أبواها."[1]

إضافة أنّ "منصور" يسهر في الحانة إلى أخر الليل حتى الثمالة لقوله:" أحيانا كنت أعود ثملا إلى البيت، أو أحمل معي زجاجات نبيذ واسكر وحدي في منزلنا الموحش. حتى في الحانات كنت أشرب بفردي، صامتا، في زاوية من الكون توار، وقفا مدة ساعات إلى يحن الليل وحين موعد غلق الأبواب."[2]

4-3- الشّارع والحي:

الخبر الذي تلقه "منصور" عن وفاة والدته ورفض والده استقباله عند زيارته في السجن، كان له وقع عميق في نفسيته ما جعله يسير في الطرقات وهو غارق التفكير لقوله:"طرقات لاكاسير العديمة الإنارة صامتة، موحشة.....أسير، لا ألوي على كل شيْ الهروب من نفسي أرى فيها أبي وهو يقتل أمي."[3]

إن الجريمة التي ارتكبها والده جعلته لا يرغب البقاء في ذلك الحي لقوله:"رغبتي الوحيدة أن أرحل إلى مكان أخر لا أحد يعرفني."[4] ووصف طرقاته البشعة بقوله:"طرقات موحشة خالية، صامتة، القذرة، المحلات والأبواب والنوافذ والقلوب والنفوس، المطفأة، الأنوار، المظلمة السماء، طرقات ساكنة لا أرى فيها عادة سوى الجرذان والكلاب الضالة الضامرة والمجانين والمتشردين مثلي."[5]

أصبحت حياة منصور لا تطاق وظل بعيدا عن الناس خوفا من أسئلتهم لقوله: "ظللت قليلا الاحتكاك قليل الاحتكاك بالناس، خائفا أن يسألوني من أكون، من أين جئت،

---

[1] /المصدر السابق، ص 229.

[2]/المصدر نفسه، ص 229 و 230.

[3]/المصدر نفسه، ص 194.

[4]/ المصدر نفسه، ص 221.

[5]/ المصدر نفسه، ص 194.

من هو أبي. حتى في الحي، حيث الجميع يعرف من أنا، كنت لا أتصل بغيري."[1] إضافة إلى قرار "منصور" البحث عن ابنه غير الشرعي ويظهر قوله:" كنت أجوب شوارع العاصمة طولا وعرضا بحثا عنه."[2] وفي أخير قرر "منصور" التخلي عن مواصلة البحث عن ابنه الشحاذ وتوقف التفكير بأبيه واستئناف دراسته وكان يتردد إلى المسجد لقوله:" هل التغير الذي حدث في حياتي كان، كان بكل بساطة، نتيجة هذا الحلم..... في ذلك العام، استأنفت دراستي الطب، في الجامعة الجزائرية. كنت قد تخليت عن مواصلة البحث عن ابن الشحاذ بعدما يئست من إمكانية العثور علي، مثلما توقفت انشغال بأمر أبي."[3]

يبدوا من التحول الذي طرأ على الأماكن التي كان يتردد عليها "منصور" أنها اقترنت بنمو الأحداث والتطورات التي حدثت على مستوى شخصية السارد.

4-4-السجن:

يشكل السجن مكان انتقال من عالم الحرية الخارجي إلى الإقامة الداخلي الإجباري يتميز بالإغلاق وتقييد للحرية ويخلق الضغوطات نفسية وإهانة وإذلالا."[4]

وارتبط السجن بشخصية والد منصور، وبالتحديد "سجن الحراش" حيث يقول "منصور": رأيت "سجن الحراش" بجدرانه العالية والعريضة، متربعا على أعالي المدينة....الأسوار الضخمة والرهيبة....أبي المسجون بداخلها فكرت، بذلك السجن الشبيه بقلعة منيعة.... أبي بدا السجين الوحيد بين تلك الجدران الهائلة الموحشة."

تجسدت معاناة "منصور" لما زار والده في السجن، في الأسئلة التي تطرأ في ذهنه والخوف من الحقيقة والرعب الذي ينتظره في القاعة بعد ما حول من مدير السجن ويظهر

[1] /المصدر السابق، ص 243.

[2] / المصدر نفسه، ص 220.

[3] /المصدر نفسه، ص 238.

[4]/المصدر نفسه،ص 202.

في قوله:" رحت أذرع المكان جيئة وذهابا.وقت طويل مضي دون أن يظهر. ماذا هنالك؟ هل زنزانته توجد في مكان بعيد؟."[1]

رفض والده رؤيته ومعرفة الحقيقة ازدادت معاناته كبيرة وشبهها بليلة البؤس والشقاء في باريس وكثير من أسئلة تدور في ذهنه ويتخبط بين مشاعره المؤلمة ومشاعر البغض واليأس والشقاء. ليعود مرة أخرى إلى "سجن الحراش" لرؤية أبيه لكنه يرفض مرة آخرة مما سبب له إحباط لم يكن في انتظاره لقوله:"توقعي أن يرفض من جديد رؤيتي لم يقدني في شيء تقريبا جنبني المفاجأة فقط، لم أكن أنتظر أن يعتريني هذا الألم."[2]

4-5-المقبرة:

هو المثوى الأخير الذي ينام فيه الإنسان نومه الأبدي، وهو المكان الأخير الذي يؤول إليه كل من ذاق الموت، حيث السكينة والصمت المطلق.

قام منصور بزيارة قبر أمه ورفقة صالح الغمري، وقد استرجع "منصور" والحالة التي كان عليها ويقول:" بعد ظهر ذلك اليوم رافقني صالح الغمري الذي أصبح موظفا في وزارة الصحة، إلى المقبرة العالية لرؤية قبر أمه، بعد ساعات من الدوران في المقبرة، لم يتمكن من الإهداء إليه، نسي موقع لا أعلم لم شعرت، وأنا أسير إلى جانبه بين المقابر، كما لو أنني شاركت أبي في قتل والدتي، صور مؤلمة راحت تتعاقب ذاكرتي: شجاراتي معها أيام كانت ترتدي ألبسة السيدة كلير هروبنا عبر المنحدر وعودتنا الذليلة إلى إلى بيتنا الحقير، كل ذلك راح يتوارد على ذهني كشريط الإتهاماتي والقاتمة."[3]

وكأن الحياة شبه منعدمة عند، فلم يعود يقوى على مقاومته للعيش، ويتألم بصمت لا أحد يحس بوجعه.

---

[1] / المصدر السابق، ص 203.

[2] /المصدر نفسه، ص 233.

[3] / المصدر نفسه، ص ص 205-206.

الفصل الثاني:

تحولات المكان ما بعد الإرهاب

في المدينة

1- الأماكن المغلقة

1-1- الفندق (نزل المسافرين)

ارتبطت الفنادق في مسار الحكاية بأسفار "الحاج منصور" ويمكننا أن نمثل بنزل المسافرين الذي يذكره كسارد عندما يصل إلى مدينة "عين". حيث يظهر الفندق عند وصوله إلى المدينة "عين" وكان يشعر بالتعب والإرهاق وكانت رغبته الوحيدة إيجاد مكان ليرتاح فيه ويظهر ذلك في قوله: "بصري وقع على واجهة كتب عليها "نزل المسافرين"، فلم أجد ما يدعوني الى اللف والدوران."[1]

فيصفه أنه فندق رديء يمثل التخلف المدني بصفة عامة والذي يميزه سوء الاستقبال وعدم الاهتمام بالمقيمين "رأيت شابا لاحت عليه أثار النوم، وربما الانزعاج أيضا. السلام الذي ألقيته عليه لم عليه (...)

-عندكم ماء؟ سألته وأنا أستلم منه مفتاحا كبير.

-للمرحاض؟

- لا للشرب.

- حرك رأسه يمينا و شمالا أن لا."[2]

أما عن المكان بحد ذاته " الحنفية الموجودة في المرحاض. ولا قطرة ماء سقطت منها"[3] على الرغم من ذلك كان يخاف ألا يكون الفندق أردئ مكان، لأنه لا يريد أن يشعر بالراحة في حياته الجديدة، وبعد أن قرر أن يتوب. لان المطلوب هو أن يعيش في مكان أكثر شقاء، ليغفر الله ذنوبه فيعذب نفسه متمنيا الغفران من الله.

---

[1]/ابراهيم سعدي، الرواية، ص 260.

[2]/المصدر نفسه، ص 261.

[3]/المصدر نفسه، ص 261

انتقل إلى وصف غرفة من ذلك الفندق والتي يتواجد فيها، حيث يقول: "هي خالية من كل ما من شانه أن يجعلني أحس بالراحة، سقفها واطئ، ونافذتها لا تنفتح ومرحاضها لا أراك الله إياه."[1]

كانت حالة "منصور نعمان" شبيهة بحال المقيمين فيه، فكلهم من المنفيين وهو ما أدركه منصور" بعد فترة من إقامته في هذا النزل، لقوله: "من بين ما أمكنني معرفته كذلك بمرور الأيام أن كل المحولين والغضوب عليهم، كانوا يقيمون في "فندق المسافرين" ويترددون على مقهى المنفيين في الأيام الأولى من وصولهم إلى مدينة "عين"، ثم ينتهي الأمر بكل واحد إلى مغادرة النزل."[2]

2-1- البيت

تعرفنا سابقا إلى البيت هو المأوى الذي يعيش فيه أفراد الأسرة، فبعد توبة منصور قرر الرحيل والذهاب إلى مدينة عين، هناك تزوج أربع مرات لكنه طلقهن لعدم التوافق بينهن وقرر البقاء مع الزوجة الأولى "ضاوية" وكان يعيش معها في بيته مع ابنه الوحيد "عبد الواحد"، وعرف بيت" الحاج منصور" برهة من الخوف والاضطراب، والبوح بمكبوتات النفس وهواجسها وخوف "ضاوية" من أسرار منصور المسجونة في قلبه.

تميز بيت "الحاج منصور" بانعدام الأمن والاستقرار، ويكشف دلالة الفزع والقلق عند مداهمة البيت سواء من رجال الأمن أومن جماعة الإرهابيين:" افتح الباب الكبير والثقيل، فأرى ثلاثة من أشخاص ملثمين يرتدون زيا أسود اللون ويحمل الكلاشينكوف. أغلق الباب، يقول أحدهم وهو يقتحم البيت مع الآخرين."[3] وتمت مداهمة البيت في الليل فخافت "ضاوية" على منصور وعلى نفسها: "دقات عنيفة على الباب الساعة العاشرة ليلا، تظهر ضاوية في

[1]/المصدر السابق، ص ص 261-262.

[2]/المصدر، نفسه، ص 246.

[3]/المصدر نفسه، ص 114.

المكتب مرتدية سترة النوم ووجهها يحمل أثار الذعر والفزع في أن واحد"[1] وطلبت منه عدم فتح الباب لقوله:تدفعني ضاوية بيدها وهي واقفة عند مدخل المكتب: مجنون أنت الحاج؟ من يأتيك في هذا الوقت إن كان لا يريد شرا،"[2] وعلى الرغم الأحداث التي تعيشها البلاد والأوضاع السياسة غير المستقرة وهجومات الإرهاب، إلا أن بيت الحاج منصور كان مكانا للتزاور خاصة أخت "ضاوية" "رانجا" وابنها "الهاشمي" ولقوله: "كان من العادة أن لا نغلق الباب منزلنا بالمفتاح أثناء النهار، شأننا شأن كّل الجيران، رغم حالة الحرب، كّل جارة تأتي لزيارتنا كانت تعلم قدومها وهي تجتاز العتبة."[3] ويقول أيضا: "اسمع دقات آتية من الباب المفضي إلى الخارج. أخرج إلى الفناء بشيء من السرعة. لا أريد هذه المرة إن تفتح زوجتي الباب. أقع على "رانجا" أي على أخت ضاوية المطلقة، وعلى الهاشمي سليماني، وهما واقفان أمامي."[4]

يكشف بيت "الحاج منصور"على الرغم من بساطة معيشتهم وظروفهم وطيبتهم وكرمهم يقدمون المساعدة لناس لأنهم أهل كرم وضيافة وطلبت "ضاوية" من "الحاج منصور" بدعوة الشحاذ لتناول الغداء وهذا ما يؤكده من خلال الحوار الذي دار بينهم:"

- ما رأيك الحاج، لو ندعو الشحاذ المسكين لتناول الطعام الغذاء معنا؟ يؤلمني أن أراه ساعات بعد في ذلك المكان والشمس تدق رأسه؟ ما رأيك الحاج؟ اذهب وقل له تعالى تتناول الغداء معنا.

لكّنه من الغرباء.

ـ ألعن إبليس الحاج، صار من الجيران منّذ مدة وهو يقيم على الرصيف.

---

[1]/ المصدر السابقص112.

[2]/ المصدر نفسه، ص113.

[3]/ المصدر،نفسه،ص134.

[4]/ المصدر نفسه، ص 22.

-طيب سيدتي، أعطيني طبقا أخذه إليه، يتناوله هناك على الرصيف".[1]

قتل "الحاج منصور" في عقر داره، فيتحول بالنسبة لزوجته لمكان ذكريات أحزانها، وتقول "ضاوية" واصفة شعورها الذي كان ينتابها داخل البيت بعد فقدانها أعز الناس عليها ابنها "عبد الواحد" وزوجها "الحاج منصور": "لم يعد يوجد هناك في البيت مكان لا يثير في نفسي الإحساس بالتعاسة: حجرة ابني عبد الواحد، مكتب الحاج، القاعة التي ذبح فيها كل شيء."[2]

1-3- المستشفى

كان للمستشفى دور كبير في الرواية حيث "الحاج منصور" يعمل في القطاع الصحي كطبيب في المستشفى العمومي: "أفكر أن أخرج و التحق بمكان الانفجار. أتذكر بأنني لا أملك أي أداة من الأدوات التي لا غنى عنها للطبيب. عملت دوما في المستشفى العمومي، أحس مع ذلك بأنني لا أستطيع أن أبقى في البيت." [3]، خاصة في تلك الفترة الإرهاب أين كانت تشهد البلاد الكثير من الحروب والإنفجارات والخراب والدمار مما أودى بحياة العديد من الناس الأبرياء وسقوط العديد من الجرحى والقتلى، وكل هذه الجرائم البشعة وقعت وعايشها " الحاج منصور" وكان يريد تقديم المساعدة و إنقاذهم وإسعافهم إلى المستشفى: "أدخل إلى المستشفى، وأنا أصرخ نقالة! نقالة...! لا أحد يسمع صوتي. فوضى كبيرة هنا أيضا. أفكر في التقدم إلى الجناح الاستعجالات، لا أستطيع. أقول للسيد الذي كان يحمل الطفل المصاب في عينيه أنه من أحسن أن يذهب إلى الاستعجالات راجلا ...أسرع الخطو وبعد لحظات أعود بنقالة، المرأة يغمى عليها بمساعدة الشاب أمددها على النقالة، أسرع بها قدر الإمكان باتجاه مصلحة الإنعاش."[4]

---

[1]/ المصدر السابق، ص 94.

[2]/ المصدر نفسه، ص353.

[3]/ المصدر نفسه،ص29.

[4]/المصدر نفسه ، ص31.

التقى الحاج" منصور" زوجته أولى "ضاوية" في المستشفى وكانت أول مريضة يعالجها لقوله: "كانت "ضاوية" أول مريضة أعالجها، لا أعرف ما شدني إليها وأنا أفحصها؟(.....) أسبوع بعد ذلك، رحت مع جامع السنة الأعمى قاصدا دار" ضاوية" لطلب يدها."[1]

كان الحاج منصور، يشفق على حالة مرضاه وغيرهم من المصابين لقوله: "أرى المصابين بأجسامهم المشوهة والدامية متروكين في الرواق على نقالات يدوية أو ذات عجلات أو على الأرض تتناهى إلى موجه الأنين والعويل والصراخ، من الواضح أن المستشفى تجاوزته الأحداث."[2]

كان منصور متفانيا و نزيها في عمله، يرفض كل ما هو غير قانوني ومشبوه لأن أخلاقه لا تسمح له بذلك لم طلب منه مدير المستشفى التوقيع على شهادة مزورة: "لم ينس لم ينس بأنني رفضت أن أوقع على شهادة طبية مزورة لإرسال أخيه إلى الخارج للمعالجة من مرض بسيط كنا نعالج غيره من الناس المصابين به بنجاح داخل مستشفى المدينة لن ينسى أبدا."[3]

تقاعد منصور إلا أنه ذلك لم يمنعه من تقديم المساعدات وتطوعه لمعالجة الضحايا لقوله: "أطلب من الممرضة الملطخة البزة بالدم تعرفني، أن تخبره بأنني أتطوع لوضع نفسي تحت تصرف المستشفى."[4]

شكل المشفى لدى "الحاج منصور" نقطة انطلاق لطريق رسمه لتحقيق ذاته وتأكيد توبته وابتعاد عن كل ماضيه اللعين.

---

[1]/ المصدر السابق، ص 197.

[2]/ المصدر نفسه، ص31.

[3]/ المصدر نفسه، ص 31.

[4]/ المصدر نفسه، ص 31.

1-4- المكتب

اختار الّراوي المكتب كمكان رئيس لكتابة مذاكراته، يشغل حيزا بسيطا من البيت لكنه جعله أوسع الأمكنة إطلاقا في الرواية لاشتماله على الأمكنة ذهنية وواقعية وأزمنة متفاوتة متشبعة، ينعزل عن الناس للكتابة يسهل عليه الرجوع إلى الماضي يقول:"أرجع إلى مكتب أحاول أن أعود إلى حياتي الماضية."[1]

كان يمضي معظم أوقاته في المكتب ثم يفكر في قلق" ضاوية"عليه بسبب بقائه ساعات طويلة فيه خوفه من شكها من خلال من مجموعة من أسئلة التي يطرحها على نفسه فيضيف قائلا: " لم ضاوية قلقلة من بقائي ساعات طويلة داخل مكتبي مع أحداث حياتي؟ أهي خائفة علي؟ أو من أي شيء؟ هل بدأ الشك يتسرب إليها؟ هل أحسست بأنني بدأت أبتعد عنها غائصا في متاهات ذكرياتي؟."[2]

أثناء بقائه في المكتب لساعات طويلة كان يستعيد ذكرياته ويقوم بتدوينها عل شكل مذكرات، كان يغلق غلى نفسه داخل المكتب ويقول:" أنا أغلق مكتبي على نفسي من جديد، غائصا مرة أخرى في حياتي الماضية البعيدة."[3]

بعد موت ابنه الوحيد من "ضاوية" تخلى عن فكرة الكتابة وانشغل بالحاضر، لكن زوجته شجعته على العودة، وبالتالي العودة إلى ممارسة الكتابة، وهذا ما نستذكره من حديث منصور مع ضاوية:

" يمضي أكثر من شهر دون أن أدلف إلى مكتبي، حين تسألني ضاوية عن السبب (....)

. ما عادت تطاردك ذكرياتك؟

. الحاضر هو الذي صار يطاردني (....)

---

[1]/المصدر السابق، ص42.

[2]/ المصدر نفسه، ص 51.

[3]/ المصدر نفسه، ص 51.

. أكتب، أكتب ،(....)

. لماذا عدت إليه في الأخير."[1]

وفي الأخير نشير أن "ضاوية" زوجة منصور وبعد اغتياله أصبحت هي الأخرى تمارس فعل الكتابة، وتقضي في المكتب فترات طويلة، وتحدثنا عن ذلك بقولها:" فكرت أن أعمل بنفس الفكرة التي عرضتها على الحاج للتخلص من ذكرياته (....) المكتب كنت أقضي فيه أكثر من اللازم.

1-5- المقهى

يحمل المقهى مسار سرد الحاج منصور عند رحيله إلى مدينة "عين"، "مقهى المنفيين" عندما ولجها بدأ الزبائن ينظرون إليه بنظرات غريبة جعلته يحس بنوع الإرباك لقوله: "عيون بعض الزبائن لاحظتها ترمقني بين الحين والآخر. الأمر أربكني بعض الشيء. نحوي فقط تلك العيون، المظاهرة باللامبالاة، تختلس النظر."[2] كما التقى بأصدقاء في "مقهى المنفيين" في مدينة عين أمثال الفيلسوف "حميدة رمان" و" جمال بقة" والشاعر "فارح قادري"، لقد سمي مقهى المنفيين نسبة الإقبال أناس من أنحاء مختلف الوطن يقول ذلك:" أول ما وقع عليه بصري و أنا ألج مقهى المنفيين هو وجهة الضامر، السيء الحلق، من ناحيته لم يبد أنه تفاجأ برؤيتي. الفيلسوف إذن رجل منفي في تلك الطاولة المستطيلة الشكل، العتيقة الموجودة في مؤخرة المقهى."[3]

يذكر السارد المقهى الذي دخله بعد أن رأى صورة صهره "عبد اللطيف" وهي معلقة على الحائط كتب أسفلها مكافأة مالية في انتظاركم مما جعل المارة يغيرون ويمضون في سبيلهم دون توقف فكان هو الوحيد الموجود أمام النداء مما اضطر إلى الاختباء فيقول

[1]/المصدر السابق، ص 215.

[2]/ المصدر نفسه، ص264.

[3]/ المصدر نفسه، ص295

"أول مقهى أصادفه أدلف إليه، أقف أمام النضد في مكان جانبي، يسمح لي بان احمي ظهري، أتناول فنجان من القهوة."[1] كان الحاج منصور يتفادى الجلوس مع الناس في المقهى بسبب صورة صهره "عبد اللطيف" المعلقة على الجدران إذا صافحه أحدهم ترك المقهى: "إنه أحد المرضى الذين عالجتهم أيام كنت أعمل في المستشفى. أتقدم نحوه فيقف يصافحني وأسال عن أحواله. يدعوني إلى الجلوس فأعتذر، وأترك المقهى."[2]

بدا المقهى في مسار الحكاية كمكان للرعب والخوف وتهدده أخطار حربية، قام بتفجيرها "عبد اللطيف" وأتباعه وقد فقد أصدقائه المنفيين في الإنفجار ويظهر ذلك قوله: "بنفسي أحسست بعيدا عن كل شيء، عن عين...."، عن تاريخ حياتي، عن قلقي ويأسي، عن الانفجار الرهيب الذي هدم"مقهى المنفيين". لم أعد أسمع ذلك الدوي المهول الذي لم يفارقني منذ ذلك اليوم. لم أعد أرى جثث المنفيين المشوهة و الممسوخة. أجل تلك الأطراف الممزقة، المسحوقة والدامية لجثث كل من الفيلسوف حميدة رمان والشاعر فارح قادري والصحفي جمال بقة، لم تعد تظهر لي في كل لحظة، في كل مكان."[3]، ويخبرنا منصور عن سبب التفجير للمقهى إلى رغبة "عبد اللطيف" في انتقام لأنه رفض انضمام إلى جماعته الإرهابية وهو ما يثبته من خلال مجموعة من أسئلة، التي طرحها:" لماذا قام عبد الطيف بهذا العمل! نعم لماذا؟ هل أراد الانتقام من الفيلسوف حميدة رمان مني أنا؟ منا جميعا."[4] يتساءل كيف أنه لم يكتشف أن هناك قنبلة ستنفجر في ذلك المقهى المقهى خاصة النادل الأعرج الذي يعمل كمخبر سري لقوله: "كيف فات النادل الأعرج، المخبر السري، الذي لم ينج بدوره من الانفجار، إن ينتبها لوجود القنبلة؟." [5]ويقول أيضا:" أمام حطام المبنى تهدم

[1]/المصدر السابق، ص 50

[2]/ المصدر نفسه، ص 50

[3]/ المصدر نفسه، ص ص 336-337.

[4]/ المصدر نفسه، ص293.

[5]/ المصدر نفسه، ص 293.

تحت تأثير القنبلة وضعت في المقهى داخل علبة حلويات، لا أدري لماذا تنفجر القنابل على الأبرياء."[1] ويواصل السارد وصفه للمقهى بعد تفجيره يقول:" أكف عن السير وأتأمل أنقاض المقهى لا تزال حجارتها المتفحمة متراكمة على بعضها البعض، اسمع الانفجار في ذهني، اسمع الصراخ والأنين، أرى الدم والجثث وبقايا بعضها مسحوبة ما تحت الحجارة والخراب."[2]

قتل كل من كان في المقهى بعد مغادرة "الحاج منصور" بخمس دقائق و لهذا يتساءل لماذا إلا هو نجا من الموت و يلوم نفسه أنه سبب الانفجار لقوله: "أجل قتلوا كلهم إلا أنا. لماذا؟ لماذا لم تنفجر القنبلة إلا بعد خمس دقائق من مغادرتي المقهى؟ لماذا لا يوجد عدل حتى في الموت؟ لماذا أنا فقط، أنا المذنب من بينهم جميعا، أبقى حيا؟ لماذا الدنيا هكذا؟."[3] أصبح المقهى مكانا للخوف وأعمال العنف الإرهابية، بعدما كان يمثل مكان للإستراحة وتمضية الوقت.

1-6- المسجد

ذكر المسجد في رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" كدلالة على توبة" "منصور" حيث كان يذهب إلى المسجد لأداء فريضة الصلاة التي عاهد الله تعالى أن لا يقطعها.

كما كان "الحاج منصور" يحب الجلوس في الجامع لأنه كان يرتاح نفسيا إلى أن المسجد لم يعد في تلك الفترة مكان للراحة، إذ تحول إلى مكان يستقطب الشباب المنظم للجبهة الإسلامية أي جماعات الإرهابية، أصبح فضاء تعقد فيه الاجتماعات لقوله: "اجلس في مكان المعتاد في المسجد، مسندا ظهري إلى أحد الأعمدة، غير بعيد عن المحراب. الصمت يخيم كالعادة،(.....) الحاضرون موزعون هنا هناك.بعضهم قد احنى رأسه على

[1]/ المصدر السابق، ص127.

[2]/المصدر نفسه، ص 271.

[3]/ المصدر نفسه، ص 271.

المصحف، يقرأ بصمت(....) عدد الحاضرون قليل (....) رجال متذكرين أو عيون إرهابيين غير معروفين لا أحد يكلم أحد، لا أحد يثق في أحد."[1]

كما أصبحت الممارسات التي تتم مخالفة تماما لما ينبغي أن تكون عليه ولا تمت للدين ولا للواقع بأية صلة وهو ما نلا حظه من خلال قول "الحاج منصور": "أغادر الجامع وأنا أحس بنفسي أترك مكانا ما عادا يعبد الله فيه."[2]

كما أضحى المسجد مكانا للقاءات السرية بين عبد اللطيف وجماعته حتى أنهم كانوا يستغلون فرص تواجدهم في المسجد للتوسيع نطاق جماعتهم، وذلك عن طريق عرضهم على عناصر جديدة اللإنضمام إليهم، ومثال ذلك طلبهم من الحاج منصور لما التقو به في المسجد ذات مرة أن ينضم إليهم، ويروي لنا تفاصيل حوار هذا اللقاء قائلا:

". السلام عليكم. قال "عبد اللطيف الذي لم ينتبه إلى وجوده في المسجد إلا في ذلك الحين.

. وعليكم السلام، أجابته مصافحا إياه.(...)

. الإخوان من الجبهة الإسلامية يريداني مفاتحتك بشأن أمر هام(...)

. أخانا الدكتور المحترم، جئنا لندعو سيادتك إلى تعزيز صفوف أنصار الدين الحنيف،(...)

. نريد أخانا الدكتور، أن تشرفنا انضمامك إلى الجبهة(.....)[3]

اتخذ الحاج منصور المسجد مكانا يهرب إليه للإحتماء فيه خوفا من الموت من قبل الرجال المسلحين ومن قبل الإرهابيين عند خروجه من مركز الشرطة وذلك في قوله:" أقع على مسجد فأقترب منه، أقرر احتماء بداخله أدفع ببابه الخشبي إلى الأمام، لكنه يأبى أن يتحرك، مغلق هو أيضا. لا أتذكر أنني صليت في هذا المسجد قط."[4]

---

[1]/ المصدر السابق، ص58.

[2]/ المصدر نفسه، ص 58.

[3]/ المصدر نفسه، ص 325 . 327

[4]/ المصدر نفسه، ص 169

كما أن "الحاج منصور" كان يجد، الراحة والطمأنينة في المسجد أين استسلم، للبكاء أمام الملأ لأول مرة، لأن روحه كانت مريضة ومعذبة تحمل أسرار مؤلمة ومفجعة وذلك عندما قال: "أتذكر يوم أجهشت باكيا أمام الملأ للأول مرة. كنت في جامع السنة، أروي فصولا من حياتي للإمام الضرير الشيخ مبروك، في لحظة من اللحظات، انفجرت باكيا في ذلك اليوم أدرك الناس أن روحي مريضة ومعذبة، أنني أحمل أسرار مؤلمة وفاجعة. أجل."[1]

ارتبط المسجد ارتباطا ووثيقا بالفتنة والأحداث التي إنجرت عنها حتى أنه عد بمثابة مقر سياسي تمارس فيه مختلف الدعوات والممارسات المشبوهة التي لا تمت للعقيدة بأية صلة، كما اتخذه "الحاج منصور" ملجأ للهدوء والسكينة والراحة نفسية بعد التوبة.

1-7- مركز الشرطة

استدعى منصور إلى مكتب التحقيق إلى مركز الشرطة، حيث تم استجوابه بحثا عن معلومات تخص صهره عبد اللطيف لمعرفة مكان اختبائه فأحس بالاختناق الأسئلة التي طرحت عليه من ذلك قوله:"هل زارك أبو أسامة، الحاج؟ يسألني صاحب ربطة العنق السوداء وهو يقضي على أخر لفافة دخنها، ساحقا إياها في منصفته الممتلئة ببقايا سجائره(.....)ألم يحاول الاتصال بك بواسطة الهاتف أو عن طريق شخص أخر أو بأي وسيلة أخرى."[2] ولكن ذلك الأنه لم يكن على اتصال به لم يجد نفعا لأنه لم يكن على اتصال به ثم صور حالته وكيف كانت حاله يقول: "أتوقف عند المدخل مع ذلك وسط عوني أمن كانا في حالة استعداد لأي طارئ، يشد كلاهما على الكلاشينكوف بيده."[3]

[1]/المصدر السابق، ص 225

[2]/المصدر نفسه، ص 161.

[3]/ المصدر نفسه، ص 168.

واجهه الغبار والريح والشارع مغطى بالسحب الكثيفة من الغبار ولا يرى أي مخلوق لقوله: "أول شيء يواجهني خارج المركز هو الغبار والريح لا أي مخلوق بشري الريح تغطي الفضاء بسحابه كثيفة من الغبار، تبدو المعركة كما لو أنها تدور مع أشباح."

2- الأماكن المفتوحة

2-1- المدينة :

شاعت في الكتابة الروائية، المدينة بوصفها حيزا مكانيا يتسع ليضم الشوارع والأحياء والبنايات المختلفة، وهي مقارنة بالريف تعد تحولا حضاريا أرقى، وتتصف بالازدحام والاكتظاظ. وتتوفر على الوسائل العصرية التي توفر الراحة للفرد ومستلزماته المختلفة إذ "أوجدها الناس لتكون في خدمتهم وعلى مستواهم، أوجدوها لتساعدهم على العيش وتطمئنهم وتحميهم من العالم المناوئ ومن أنفسهم و تختلف المدن عن بعضها البعض فكل مدينة وموقعها الجغرافي، وتتميز كل مدينة بعاداتها وتقاليدها ."[1]

المدينة كما هو متعارف تمتاز بالتجمعات السكانية ذات المباني والعمارات الفخمة على عكس الأحياء والقرى و قد كان" منصور نعمان" يتحرك في مسار حكايته في مدن كثيرة،غير أننا نلاحظ بأنه لم يذكر العاصمة باسمها واكتفى بذكر أحيائها المعروفة مثل "لاكا سير" و"باب الواد" و"حسين داي" ولما انتقل منها إلى المدينة المجاورة، ذكرها باسمها "كيوفيل"، وذلك عندما أصبح يسكن في " فيلا روز " بمدينة "كيوفيل " بعدما منحته إياه مدام "كلير ردمان " وذلك لقول "منصور نعمان " :" عدت إلى "كيوفيل " في اليوم التالي خفت أن تفلت مني " فيلا روز" التي منحتني السيدة "كلير ردمان" مفاتيحها. "[2]

ارتبطت كل الأمكنة بعلاقاته مع النساء اللواتي التقاهن وتعرف عليهن وعاشرهن،وحياته في المدينة سواء أكانت داخل الوطن أم خارجه لم تجلب له إلا الويلات،

[1]/مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا منا، ص 96.

[2]/ ابراهيم سعدي : رواية بوح الرجل القادم من الظلام، ص 70.

وحتى أولائك الذين أحبوه حبا صادقا افتقدهم في تلك المدن التي تتحول شوارعها إلى صمت وفراغ وحزن، فبعد رحيل السيدة "كلير ردمان" شعر بالوحدة في "فيلا روز" وعندما ماتت "حبيبته" منتحرة فرّ من أهلها الذين تابعوه لأنه كان السبب، وفي باريس وجد نفسه وحيدا بعدما انفصل عن سيلين.

انتقل "منصور نعمان" في مرحلة توبته إلى مدينة بقيت مجهولة مقارنة ببقية المدن، وأعطاها المؤلف اسما يبقيها مجهولة لدى القارئ وهي مدنية "عين " التي كانت تفتقد إلى أدنى شروط الحياة. لا ماء فيها ولا خبز، لا جريدة ولا كتاب، ولا قاعة سنما.

هي أحر من الجمر وإذا قدر وإن مرض المرء فلا جدوى من البحث عن الدواء، ولا عن المستشفى. لا وجود فيها للمرأة، والمراسلات لا تصل إليها. وأما اللحم والخمر فلا داعي لذكرهما، حتى يتصور الإنسان نفسه وكأنه في صحراء قاحلة وهذا ما حدث مع "منصور نعمان" عندما وطأت قدماه هذه المدينة لأول مرة وقد حدثنا عن ذلك قائلا:"المسافرون الذين نزلوا معي تفرقوا في مختلف جهات المدينة (...) ما لفت انتباهي (...) هو خلو المدينة، خلوها من أي حركة، بما في ذلك حركة المرور، بدت لي مهجورة، بلا سكان، بلا حياة، اجل، شعرت كما لو أنني جئت للعيش في مدينة غادرها أهلها، غادروها من كارثة ما كالمجاعة أو وباء الطاعون أو نحو ذلك، ومنذ مدة طويلة من الزمن، أحسست لو أن هذا الصقع ليس مكانا للحياة، وإنما للموت، للموت البطيء الهادئ بعيدا عن الأنظار، عن الضجيج وعن العويل." [1] يبدو من وصفها أن مدينة "عين" هي أرض جدباء، وسكانها يكرهون الغرباء، بحيث تمضي الأيام فيها متشابهة، والذين يتم تحويلهم أو تعيينهم في مدينة "عين" هم دائما من المغضوب عليهم لكن الحاج منصور هو الذي اختار الرحيل إليها ليرتاح من حول الأحداث التي صارت تحاصره، ولم يعد يرغب في العيش فيها.

1/المصدر السابق، ص 259.

لهذا كانت مدينة "عين" التي كان يعلق عليها أماله ليقضي فيها بقية حياته، معاهدا الله أن يتوب، وفي هذا الصدد يقول:"الأمل هنا في هذه المدينة الواطئة الصامتة، ذات المنازل المتلاصقة، ذات اللون الأسمر الباهت، العارية والخالية من الأشجار سوف اقضي بقية حياتي هنا، جئت ابحث عن التوبة ها أنا ذا، أفي بعهدي.ها أنا ذا أنزل إلى الجحيم."[1]

تبدو هذه المدينة بدورها غريبة يهيمن على مبانيها لون أسمر باهت، يتشكل من نتوءات صخرية لا نهاية لها، وسط قفار لا متناهية لقوله: " أستأنف طريقي بدوري، متذكرا، ذلك اليوم، تلك الامتدادات الصخرية الملتهبة التي لا نهاية لها، تلك القبة البيضاء المنتصبة في عمق القفار، ذلك الشعور بأنني وجدت خلاصي في الأخير...."[2]

لم يهجر الحاج الدكتور" منصور نعمان" مدينة إلا ليدخل لمدينة أخرى أسوء منها، لا يغادر محطة مظلمة إلا لينزل في أخرى حالكة الظلام، حتى هذه المدينة التي كان يتوق للعيش فيها بدت له صامتة موحشة، وبدت له صخورها ناتئة كأسنان حادة، تترصد ولذلك راح يطارد ذلك البياض الناصع، القبة التي قده إليها "الشيخ مبروك" حيث عثر على الصوفي ممزق الأطراف، وعلى قبة محطمة عن أخرها، وقد كان هذا الصوفي يردد قائلا:"أنا الولي الصالح، سعيد الحنفاوي، أنا الحي الواصل صاحب البركات، والكرامات، والمقامات، أنا الواصل، تأتيني الغزلان والطيور، وتنشق لي ارض الصحراء بالينابيع وتنمو لي أشجار البرتقال."[3]

تحولت المدينة في فترة من الزمن في إطار التحولات التي عرفتها الأحداث التي عايشها منصور إلى أجواء من الرعب، وذلك بسبب الإرهاب وخاصة بعد أن تدخل الأحداث شخصية"عبد اللطيف" اخو "ضاوية "زوجة" منصور نعمان" التي لم تكن تعلم أن أخاها هو الذي تسبب في قتل الأطفال والكثير من الضحايا التي كانت بسببه، وذلك في قوله:"الحق لم

[1]/المصدر السابق، ص 259.

[2]/ المصدر نفسه، ص 67.

[3]/المصدر نفسه، ص 24.

أكن خائفا عليها من القنابل، بقدر خوفي عليها مما قد تسمعه، قد تنجو من المتفجرات. لكن ألسنة الناس لن تخطئها. الجميع يعرف الآن بان الأمير"أبوأسامة" الذي ألقى بالمدينة في جو من الرعب والموت ليس غير أخيها"عبد اللطيف".[1]

لهذا تحولت المدينة من صمتها إلى مكان خوف ورعب ولذلك وصفها بقوله: "المدينة يسودها جو ثقيل وقاتم، أحس كما لو أن داء الطاعون ينهشها، النداء إلى الكشف عن "عبد اللطيف" وعن غيره لا يزال معلقا في كل مكان بالمدينة. أراه أيضا عند مدخل جامع "السنة" العتيق."[2]

كما جسد " سليمان الهامشي "في لوحته الفنية ذات منازل واطئة، متداخلة ومتشعبة لقوله:"جانب من المدينة القديمة بمنازلها الواطئة، المتداخلة والمتشعبة، وبمآذنها العالية والقديمة، تبدو الآن كما لو أنها تمثل منظر مدينة أصابها الخراب والدمار."[3]

كما اتخذ الحاج "منصور نعمان" المدينة الخرج الوحيد لنسيان اغتيال ابنه الوحيد "عبد الواحد"، ووضع حد لحزنه ويأسه وخشينه أن يقع مريضا بسبب الكتمان، لقوله:"أنا كذلك أفعل كل ما في وسعي حتى لا يظهر على ما أحس به، لهذا عدت إلى الخروج إلى المدينة بين الحين والأخر."[4]

2-2-الشوارع والطرقات:

يعتبر الشارع مكانا لعبور الأشخاص، وهو فضاء مفتوح على العالم الواقعي الذي يحوي أشخاص من مختلف الفئات والمهنات، في إطار التواصل مع الآخرين.

---

[1]/ المصدر السابق، ص 36.

[2]/ المصدر نفسه، ص 58.

[3]/المصدر نفسه، ص 147.

[4]/المصدر نفسه، ص 223.

كشف مسار الحكاية في فترة التسعينات التي عاشها الراوي، وهي فترة العشرية السوداء، حيث كانت الشوارع والطرقات تملاها الفوضى والخوف وعدم الاستقرار، وارتكاب الجرائم، بسبب المواجهات التي كانت تجري بين رجال الأمن والجماعات المسلحة،عن أجواء المدن عندما يلفها الخوف والرعب، فيصف حالة الناس ويقول:"أرى الناس يجرون في كل الاتجاهات، اسمع أبواق سيارات الإسعاف والمطافئ، ألاحظ الدخان وهو يعلو في السماء (...)، أتقدم ببطء بسبب المارة الذين لا يزالون يهرعون في كل اتجاه (...)، فوضى كبيرة (...) جثث متفحمة، أجسام ممزقة، أطراف دم بشرية، دم، صراخ، نار، وجوه مذعورة، رجل يتخبط على الأرض وسط حبات طماطم مسحوقة ومبعثرة، أشخاص تلتقطون بقايا أجسام بشرية، جثث مرمية وسط البطاطس والبطيخ والبصل...".[1]

كما يتحول الشارع إلى محطة تعرف "الحاج منصور نعمان" على شخصيات جديدة،لأنه التقى ب"صادق" الذي كان يمشي ملوحا بيديه في الهواء، فصدمه أمره يقول عن ذلك: "أثناء الطريق أقع عليه، صدمة كبيرة تصيبني. انه هو بلا ريب. أتوقف منتظرا إياه. ماذا حل به ؟ لماذا يمشي ملوحا بيديه في الهواء؟ لماذا يتكلم بصوت عالي (...)لم هو حافي القدمين؟ لماذا يحمل ذلك العكاز الطويل العديم المقبض؟ الناس ينسحبون من أمامه بنوع من الخوف (...) يتابعونه بنظرهم متوقفين عن السير قبل أن يستأنفوا طريقهم (...) اسمعه يقول: أنا الحي، أنا الولي الصالح، سعيد الحنفاوي..."[2].

كان "الحاج منصور" يتفادى الشوارع الرئيسية ويسير في الشوارع الشعبية القديمة والبائسة، خافض الرأس حيث يعرفه الكثير من الناس وذلك بسبب صورة صهره "عبد اللطيف" المعلقة على جدار قرب الصيدلية، ويظهر ذلك من قوله:"أتفادى كالعادة الشوارع والطرقات الرئيسية حيث يعرفني الكثير من الناس. أسير في الطرقات الشعبية القديمة

[1]/المصدر السابق، ص ص 29-30.

[2]/ المصدر نفسه، ص ص 23-24.

والبائسة خافض الرأس (...) النداء ملصق على جدار، قرب الصيدلية، تحت تأثير الخوف، أقرر أن أواصل الطريق (...)، أول وجه أقع عليه هو وجه "عبد الطيف" صهري(...) تحت صورته كتب اسمه كامل،سنه، ومكان ميلاده(...)."[1]

أصبحت الشوارع والطرقات محلا لتعليق كل النداءات وصور الإرهابيين، إلا أن "الحاج منصور" لاحظ أن جل هذه النداءات نزعت بما فيها صورة صهره في قوله:"لم أفكر في حين وقع نظري عليها. جل النداءات المعلقة في الأحياء الشعبية نزعت، على عكس ما هو عليه الأمر في الشوارع الرئيسية في المدينة، هنا، في هذه الطرقات الضيقة الملتوية بمنازلها البائسة، لا يجرؤ رجال الأمن أنفسهم على المجيء."[2]

كما تعد الشوارع والطرقات مكان يكثر فيه سفك الدماء وإراقتها إذ كانت شاهدة على أحداث كثيرة منها وفاة "الشحاذ الأعمى ووفاة الطفل" بائع الفول السوداني"، يقول "الحاج منصور" وهو يصور إحدى المشاهد الشنيعة التي تدل على أن الشارع في مدينة "عين" أضحى مسرحا للموت: "أرى ثلاثة أشخاص على الرصيف يلقون شيء أمامهم قبل أن يلقوا سيقانهم للريح. لا أميز بوضوح ما قذفوه، لكن حينها أرى جسما بلا رقبة أتأكد من الأمر. انه رأس رجل."[3]

يسرد الحاج منصور مجموعة من الأحداث التي ارتبطت بالإرهاب ويذكر الأماكن التي وقعت فيها أحداث القتل وسفك الدماء من ذلك ما حدث مع الإمام الضرير الذي اغتيل من طرف "عبد اللطيف" الذي زعم مساعدته على العودة إلى البيت في قوله:"لكن الآن، وسط الريح والغبار، لا أتذكر سوى خروج أخيها "عبد اللطيف" ذات يوم بالإمام الضرير من الجامع بحجة مساعدته على العودة إلى منزله، وأثناء الطريق، في زاوية مظلمة يذبحه."[4]

---

[1]/المصدر السابق، ص ص 29-30.

[2]/المصدر نفسه،ص 77.

[3]/المصدر نفسه، ص 87.

[4]/المصدر السابق، ص 197

كما اتخذ "الحاج منصور" الشارع مكانا للجلوس حيث يتوقع رؤية احد أبنائه الذين أنجبهم من إحدى مطلقاته، والتحدث إليهم والسؤال عن أحوالهم، في قوله: "أبقى واقفا بجانب مدخل المبنى أملا في خروج أحدهم إلى الشارع أو العكس عودته إلى البيت، أبقى في نفس المكان انتظر واقفا."[1] ولذلك يسرد في مستوى لاحق من مسار الحكاية قصة مقتل ابنه "عبد الواحد" ابن "الحاج منصور" الوحيد من زوجته "ضاوية والذي كان يحبه كثيرا. قتل وهو يتهيأ للنزول من سيارته، من قبل شاب بين الثامنة عشر والعشرون، في قوله:" عبد الواحد قتل وهو يتهيأ للنزول من سيارته، في الحي الذي كان يسكن فيه، قتل بثلاث رصاصات وصل أزيزها إلى مسامع زوجته وابنه(...)، القاتل فر راجلا عبر الطرقات النازلة والملتوية إلى قلب العاصمة، شاب بين الثامنة عشر والعشرون حسب بعض الشهادات."[2]

لعبت الشوارع والطرقات دورا كبيرا في احتضان المظاهرات التي كان الشعب يقوم بها و يظهر هذا جليا من خلال قول "الحاج منصور":"سيارات متفحمة وأخرى متحطمة. محلات مهشمة ومفرغة. عجلات مطاطية محترقة، شظايا الزجاج وعلب ممزقة ونفايات أخرى مترامية على جوانب الطريق. وسط ذلك متظاهرون يرمون قوات الأمن بالحجارة. عناصر الأمن يردون عليهم بغازات مسيلة للدموع ."[3]

نستنتج من كثرة الأحداث التي سردت وارتبطت بالشوارع والطرقات أن "إبراهيم سعدي " قد وظفها بطريقة فنية راقية، وألبسها دلالات مختلفة، من جهة جعلها مسرحا لجرائم فظيعة، ما جعلها أشبه بليل حالك أسدل ستاره، ومن جهة أخرى كانت بمثابة ملجأ يلجا إليه وقت الضيق.

[1]/ المصدر نفسه، ص 127.

[2]/المصدر نفسه، ص 213.

[3]/المصدر نفسه، ص 209.

2-3- السوق

يعتبر السوق مكان يقصده الناس لقضاء بعض حاجياتهم، وهو يدل على الحركة والحيوية، إلا أنه ظهر مضطربة تقع المجازر المريعة، وقد وصفها "الحاج منصور" بقوله:"أدلف سيارتي، أقترب من السوق، أفتح أبوابها، امرأة ممزقة الثياب ملقاة على الأرض أحملها بين ذراعي أمددها على المقعد الخلفي لسيارتي."[1]

هذا المشهد لا يقل بشاعة عن غيره من المشاهد حتى أن شدة هولها ورعبها جعل الأبكم والأصم الهاشمي سليماني يرتجف خوفا، كما أنه جسد هذه المشاهد في لوحاته، وتصويرا لحالته هذه يقول "الحاج منصور": "إبن أخت ضاوية يوضح لي (...)بأن يده صارت ترتجف،حين تمسك الريشة، بأنه يجد نفسه أحيانا عاجزا عن العمل(...) فألتفت إلى ضاوية، توضح لي بأنه بسبب ما يحدث ليده لم يتمكن بعد من الانتهاء من لوحة قضى معها أكثر بكثير مما حصل له مع أية لوحة سابقة، أسأله عن موضوعها يجيبني بأنها مشهد أجسام بشرية ممزقة: رؤوس، أيدي، أرجل، دم، عيون، قلوب، أحشاء، أسنان وغيرها أفهم من حركات يده أن اللوحة مستوحاة مما شاهده إثر انفجار الذي ضرب سوق المدينة."[2]

إن ما نخلص إليه من خلال تتبعنا لمجموع الأماكن التي دارت فيه الأحداث قصة "الحاج منصور" تحولها إلى عنصر تم تبئيره ولذلك تقاسمت الأماكن البطولة مع باقي الشخصيات.

هناك نقاط اختلاف والتشابه في كلا الفترتين، ففي فترة ما قبل الإرهاب كان يسود فيها الاستقرار، أما في فترة الإرهاب سادها اللااستقرار من انعدام الأمن.

[1]/المصدر السابق، ص 30.

[2]/ المصدر نفسه، ص ص41-42.

في فترة ما قبل الإرهاب كان "منصور نعمان" يعيش حياة اللهو والمرح، وعشق النساء، أما في فترة الإرهاب تاب وابتعد عن كل ملذات الحياة، وبينما كان غير مستقر نفسيا في طفولته ومراهقته وكهولته، تحول إلى حياة غير آمنة في فترة الإرهاب ومات مقتولا.

أما من ناحية الأماكن فنجد أنها في كلا الفترتين هناك أماكن متشابهة.

خاتمـــة

حاولنا في دراستنا هذه، تسليط الضوء على مرحلة مهمة من مراحل تطور الرواية الجزائرية، وذلك من خلال دراستنا **لجماليات المكان،** وقد اتخذنا في هذا البحث "**بوح الرجل القادم من الظلام**""**لابراهيم سعدي**" نموذجا للدراسة.

عرف عنصر المكان عدة تقنيات جعلت منه عنصرا فعالا في الحكي، وهذا ما جعله ضمن اهتمامات المبدع.

تعددت وتنوعت المقولات والآراء حول المكان باختلاف مشارب الأدباء والنقاد فهناك من نظر إليه من ناحية انه المحرك الأساسي للرواية، والبعض الآخر اعتبره العنصر الأمثل في بناء العناصر السردية الأخرى والجدار المحكم لها، وفريق منهم يراه من زاوية الذوق والفن، أي انه يعطي شعرية للمكان ويحليه بطابع من الجمالية ممزوجة بدلالات تحيل القارئ إلى خلق معاني جديدة.

يعد المكان عنصرا مهما في العمل الروائي، وقد لعب دورا بارزا في مسار سرد رواية بوح الرجل القادم من الظلام لارتباطه بنمو الأحداث.

كان المكان شديد الانتماء والوفاء لعالم الرواية الداخلي، ومحتواها ولهذا كانت له جمالياته قبل فترة الإرهاب وبعدها.

يعد إبراهيم سعدي واحدا من الروائيين الذين تركوا بصمات واضحة على السرد الروائى الجزائري، وذلك بفضل اشتغاله على المكان الذي تدور فيه الأحداث بحيث حوّله إلى موضوع السرد وخصوصا في كتاباته حول العشرية السوداء التي تناولها في عدة نصوص روائية، ونذكر منها: رواية "بوح الرجل القادم من الظلام".

كما نستخلص من هذه الرواية جملة من الخصائص نجملها فيما يلى:

– الرواية بناؤها الفني قائم على حكايتين، الأولى مؤطرة يرصد فيها أهم التحولات التي عرفتها الجزائر من زمن الثورة إلى تسعينات القرن العشرين، وتغطي حياة الشخصية

الرئيسية من طفولتها إلى موتها، أما الثانية فهي مضمنة تبرز الوضع المفارق للشخصية الساردة بين ماضيها الطائش وحاضرها المأزوم الذي تخيم عليه أحداث التقتيل، كما سلطت الضوء على تتبع مسيرة حياة "الحاج منصور نعمان"، وهو الأمر الذي جعل هذه الرواية لا تحتفل بالحدث احتفالا كثيرا ذلك أنها ركزت على رسم شخصية الدكتور "الحاج منصور" عن طريق رصد مختلف جوانب حياته بما في ذلك آهاته وهمومه، وذلك عبر انتقاله من مكان الطفولة إلى أمكنة أخرى.

- تؤدي هذه الرواية ثلاث وظائف وهي وظيفة الشهادة، الإثبات والتعرية. فأما وظيفة الشهادة فتتجلى من خلال الكشف عن جرائم الإرهاب الأعمى، التي لم تستثني احد، فقد قتلوا المثقفين، وأئمة المساجد والشيوخ، حتى النساء والأطفال.

أما وظيفة الإثبات فتتجلى من خلال وقوف الرواية على جملة من الظواهر التي تؤكد على فساد النظام السائد، ومثال ذلك تعرضها لظاهرة النفي التي كان يتعرض لها المتفانون والمخلصون في عملهم.

وأما وظيفة التعرية فتتجلى في ذكر بعض الأشياء التي تتنافى مع الحياء والعرف والتقاليد في المجتمع الجزائري، كحديث "منصور نعمان" عن علاقاته الجنسية مع النساء، إلاّ أنه لم يستعمل لغة أباحية.

- تناسب المكان في هذه الرواية مع مختلف التحولات التي طرأت على شخصية البطل، فالكشف عن بنية الأمكنة تؤدي إلى الكشف عن الفرق الموجود في شخصية الدكتور الحاج"منصور نعمان" فذكر الحانة مثلا جاء متناسبا مع ماضي "منصور" الغارق في الذنوب والمعاصي، وبالمقابل جاء ذكر المسجد متناسبا مع حاضر بطل الرواية فقرر التوبة والعبادة والتدين.
- احتل عنصر المكان جزءا كبيرا في الرواية أكثر من الشخصيات، إذ أن المكان المحبب لدى البطل تحول إلى مكان قمعي عدائي، فاتسم شعوره بالقلق والتوتر، فبيت

الإنسان مثلا يعد مكانا محببا، لكنه في هذه الرواية يمثل حبا مضطربا غير مستقر إذ لم تذكر البيوت في الرواية والمتواجدة في مدينة "عين" لم تكن بمنأى عما يحدث في الخارج من صخب ولا استقرار.

- عرض المكان في هذه الرواية بخلفيات واقعية جسدت بذكر أسماء في الرواية الجزائرية، والأماكن الحقيقية من ذلك مدينة الجزائر ومناطقها مثلا لاكاسير، باب الواد، حسين داي، بلدية كيوفيل، عين البنيان وأماكن ثانوية كالجامعة، البحر والمدرسة...الخ، وتعتبر معظمها أماكن حقيقية لأن تعيين المكان الروائي باسم حقيقي يجعل الروايات أكثر واقعية.
- تتميز رواية "ابراهيم سعدي" ببساطة لغتها الوضعية التي صورت الأماكن ومظاهر أماكن واقعية أقرب منها إلى الخيال صيغت بصفة جمالية أدبية في حين ابتعد كل البعد عن الأماكن العجائبية والأسطورية.
- من خلال دراستنا للمكان تبيّن لنا أنّ موضوع المكان هو العنصر الذي يمثل الحركة الأساسية للسرد، فهو القلب النابض فيه لأن الشخصية تتحرك في إطاره، والحدث لا يقع إلا في مسرحه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1-ابراهيم سعدي، بوح الرجل القادم من الظلام، منشورات الاختلاف، ط1، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997.

ثانيا: المراجع:

أ. المراجع العربية:

2-أحمد زياد محبك، دراسات ندية من الأسطورة إلى القصة الصغيرة، دار علاء الدين، ط1،2001، دمشق.

3-ياسين ناصير: دراسة المكان الروائي، نينوي للدراسات النشر والتوزيع، دمشق،ط1، 2001.

4-باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، ط1، اربد، الأردن، 2008.

5-يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم، من كتاب جماليات المكان لمجموعة المؤلفين، ط2، المغرب، دار البيضاء، 1988.

6-حسين بحرواي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمان، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط2، دار البيضاء، المغرب، 1994.

7-حسين نجمي، شعرية الفضاء التخيل والهوية في الرواية العربية، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، ط1،بيروت، 2000.

8-حميد الحميداني، من النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1993.

9-شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، عمان، الأردن، 1994.
10- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد).
11- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي ومعالجة تفكيكية سيميائية، لرؤية زقاق المدن، المطبوعات(د.ط)، الجزائر، 1995
12- عمر عيلان، إديولوجية وبنية الخطاب الروائي، دراسة سيسيوبنائية في رواية عبد الحميد بن هدوقة، ط1، منشورات جامعة منتوري، الجزائر، 2001.
13- ليلى قاسحي، دلالة المكان في رواية الورم، لمحمد ساري، كنوز الحكمة، العدد3، الدراسات الغوية والأدبية، للنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.
14- منصور نعمان الدين الدليمي،المكان في النص المسرحي، دار الكندي للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، أربد، 1999.
15- مهدي عبيدي،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، حكاية بحار،المرقأ، البعيد،السورية العامة للكتاب، ط1، دمشق، 2011.
16-ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة:فريد انطونيوس، منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1971.

ثانيا: المراجع المترجمة:

17- غاستون باشلار، جماليات الصورة، ترجمة غادة إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.
18- غاستون باشلار، جماليات المكان،ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، ط6، بيروت، لبنان، 2006.

19- غاستون باشلار :جماليات المكان: ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات النشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1999.
20- ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيس، منشورات عويدات، ط2، بيروت، لبنان، 1995.
21- يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، ترجمة سيزا قاسم، من كتاب جماليات المكان لمجموعة المؤلفين الغرب، ط2، دار البيضاء، 1988.

فهرس الموضوعات

كلمة الشكر

إهداء

مقدمة 01

مدخـــل: مفاهيـــم المكـــان

1-مفهوم المكان 04

1-1- مفهوم المكان عند النقاد الغربيين..... 06

1-2 مفهوم المكان عند النقاد العرب 11

الفصل الأول:تجليات المكان ما قبل الإرهاب

1- ذكريات أماكن الطفولة..... 16

1-1- البيت 16

1-2- الحي 18

1-3- المدرسة..... 20

1-4- الشوارع والطرقات 22

2. ذكريات أماكن المراهقة 24

2-1- البيت 24

2-2- الشّارع 26

2-3- فيلا روز 27

2-4_البحر 29

2-5- الشاطئ 30

2-6-الثانوية..... 31

3 . وصف أماكن الهجرة 33
3–1– الجامعة 33
3–2– الشّارع 34
3–3– المقهى 35
4. مسارات أماكن العودة إلى الوطن 36
4–1– البيت 36
4–2– الحانة 37
4–3– الشّارع والحي 38
4–4– السجن 39
4–5– المقبرة 40

الفصل الثاني: تحولات المكان ما بعد الإرهاب في المدينة

1– الأماكن المغلقة 42
1–1– الفندق (نزل المسافرين) 42
1–2– البيت 43
1–3– المستشفى 45
1–4– المكتب 47
1–5– المقهى 48
1–6– المسجد 50
1–7– مركز الشرطة 52
2– الأماكن المفتوحة 53
2–1– المدينة 53

2-2-الشوارع والطرقات 57
2-3- السوق 60
خاتمــة..... 63
قائمة المصادر والمراجع.
ملخص.

ملخص:

تعرضنا في بحثنا الموسوم بعنوان جماليات المكان في رواية "بوح الرجل القادم من الظلام" لدراسة الأماكن التي دارت فيها الأحداث.

وقد قسمنا بحثنا وفق تصور المؤلف إلى قسمين الأماكن المغلقة وأخرى مفتوحة.

ميّزنا بينهما بما قبل الإرهاب وما بعده وتبيّن لنا من خلال الدراسة أنها ارتبطت بالمراحل العمرية للسارد البطل "الحاج منصور" الذي عرض لوصف المكان الذي عاش فيه صبيا ومراهقا ثم انتقل إلى وصف أماكن أخرى أسهمت جميعها في نمو الأحداث.

استنتجنا في الخاتمة الصفات والخصائص التي ميزت كل منهما عن الآخر.